

2269
-3545
-361

2269.3545.381

Fawzi

Mamlakat al-Imam Yahya

[illegible]



32101 073552315

Mamlakat al-Imām Yahya

مملكة الإمام يحيى

عبدالله بن يحيى

رحلة في بلاد العربية السعيدة

للكاتب الايطالى الذائع الصيت سلفاتور أبوتى

عربة من الايطالية

Jaha Fawzi طه فوزى

موظف بمحكمة استئناف مصر الوطنية

ومدرس اللغة الايطالية بمدرسة الفنون الجميلة العليا

حقوق الطبع محفوظة

١٩٤٧ - ١٣٦٦ هـ

طبعة النعادة بحوار محافظة مصر



کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران
بخش کتابخانه و اطلاعیه و اطلاعیه و اطلاعیه

۱۳۵۲

کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران
بخش کتابخانه و اطلاعیه و اطلاعیه و اطلاعیه

۱۳۵۲ - ۱۳۵۱

کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

بالتفاني والاحسان

نصف

الاهراء

الى مقام صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين
محرر اليمن وأبي اليمنين

أهدى هذا الكتاب

المعرب

2-20-505845

2269
3545
361

موضوعات الكتاب

صفحة	
..	الاهداء.
١	تمهيد - للمعرب
٣	فراديس في الخيال
١٧	في مجاهل تهامة
٣٠	بكره . إن شاء الله
٤٣	شعاع عرش اليمن
٥١	ملك العربية المعينة
٥٨	جمعة رمضان
٦٥	جلسة طريفة مع الامام
٧٥	الايمان الى اليمن
٨٦	الكنيس المخبوء
٩٢	عاهل بلاد العرب
١٠٢	بلاط يحيى بن محمد
١١١	أحمد سيف الاسلام
١١٩	مصيف الامام
١٢٦	نبأ من سبأ
١٣٤	خاتمة



حضرة صاحب السمو الملكي الأمير
سيف الإسلام عبد الله



and the other two are
the same as the first

بسم الرحمن الرحيم

تمهيد

شغفت من عهد بعيد بمطالعة مؤلفات الرحالة وكتب السائحين الأوروبيين الذين وفدوا منذ القرون الوسطى حتى العهد الأخيرة على مصر وبلاد الشرق العربي فقرأت منها الشيء الكثير ولا سيما ما كتبه السائحون الإيطاليون الذين كانوا أول من اتصل من أهل الغرب بالشرقيين من أمثال شيرياكو دي أنكونا وفريسكو بالدي وروزوليني دي بيزا وبيترو ديلا فال وجيوفاني بلسوني دي بادوفا وروبيكي ريكيني والسيدة آني فيفانتى وغيرهم الذين زاروا مصر والشرق الأدنى والذين قصوا علينا في مؤلفاتهم القيمة كثيراً من الاخبار الطريفة والافصاف الممتعة عن بلاد الشرق وآثارها وأهلها من بدو ومن حضر وذكروا الكثير من عاداتهم وصناعاتهم وطبائعهم وقد أتيج لي في السنوات الأخيرة على أثر استماعي للمحاضرات الشائقة التي كان يلقيها عن البلاد اليمنية الأستاذ المأسوف عليه المستشرق الإيطالي الكبير ناليو بالجامعة المصرية وفي قسم الثقافة العليا بحزيرة رودس — أن أغني عناية خاصة بمطالعة ما كتبه بعض هؤلاء الرحالة والعلماء عن بلاد العربية السعيدة من أمثال لودفيك دي فارتيا الإيطالي الذي قام برحلته إلى الشرق من عام ١٥٠١ حتى عام ١٥٠٨ م والذي كان أول أوروبي وضع دليلاً قيمياً عن أسفاره في مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد فارس والهند وسيلان وملقا . ومن أمثال العالم الأثري آرنو الذي وضع رسالة عن « رحلته إلى مارب » ورسالة أخرى عن « طائفة الأخدام في اليمن » ونشاطها وعاداتها وطبائعها إلى غير ذلك . ومن أمثال « بوتاه » الذي وضع مؤلفاً عن رحلته في العربية السعيدة كما طالعت تلك الرسائل الممتعة التي كان يرسلها الاخوان لويجي وجوزيبي كابوتي — اللذان عاشا مدة في اليمن — إلى « جمعية الاستقصاء التجارية الأفريقية » في ميلانو

ورحلة أخرى لمؤلف مجهول قام بها في بلاد العربية السعيدة من عام ١٧٥٨ حتى عام ١٧٦٠ وطبعت في مدينة البندقية في ١٧٦١ م — وكتاب « ثلاثة أعوام في اليمن » الذي وضعه رنزو مازوني وكتاب نيبوهر (وصف بلاد العرب) وكتاب ج . ب . رومى « اليمن » الذي وصف فيه بلاد اليمن وتربتها ونباتاتها وعطورها . والكتاب الذي وضعه الدكتور السالدى (اليمن) الذي احتوى على تاريخ مختصر لليمن ووصف دقيق بارع لاجواها ومناخها وكبار شخصياتها ثم أخيراً هذا الكتاب (مملكة الامام يحيى) الذي وضعه من نحو عشرة أعوام الكاتب الابطالى الذائع الصيت والصحق القدير « سلفاتور ابونتي » واسمائه (خفايا الحياة في العربية السعيدة) واستطيع القول بأن هذا الكتاب الأخير كان أكملها وأتمها وأوفاهها جميعاً وكان أدقها تعبيراً وأصدقها تصويراً وأبرعها أسلوباً فقد تحدث مؤلفه الفاضل حديث الرجل الخبير الدقيق الملاحظة والمحدث الخلو الحديث الذي امتاز بفضيلة الانصاف والبعد عن الهوى وعند ما تلوت هذا الكتاب راقتنى طريقة مؤلفه في البحث ودقته في الوصف فتقلت إلى العربية بعض فصوله التي اتصف فيها الشعب اليمني وأشاد بجهود مليكه العظيم جلالة الامام يحيى حميد الدين وبوداعة أهل اليمن ولطفهم ودماثة أخلاقهم وحلو معشرهم والتي وصف فيها المدن اليمنية الجميلة والهضاب العالية ذات المناظر الفتانة أجمل وصف ونشرتها تباعاً في « مجلة الرابطة العربية » وتصادف أن قدم في هذه الاثناء إلى مصر حضرة صاحب السمو الملكي الامير سيف الاسلام عبد الله وكان لي حظ التشرف بمعرفته ولما عرضت على ممموم بعض هذه الفصول أبدى — حفظه الله وأعزه به دولة الأدب — رغبته الكريمة في نقل هذا الكتاب النفيس إلى اللغة العربية وقد شجعنى سموه تشجيعاً لن أنساه وأمدنى ببعض معلوماته القيمة وملاحظاته النمينية على بعض ما وقع فيه الكاتب من الهنات الهيئات فكان لسموه الفضل الأول والاخير في اخراج هذا الكتاب ووضعه في متناول أيدي الناطقين بالفاضل أدام الله حياته وأبقاه نصيراً للأدب والتأديبين أنه ممتع مجيب .

فراديس في الخيال

في اليوم الرابع والعشرين من شهر شعبان من سنة ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف دخلت الأراضي النجبية الواقعة تحت سلطة الامام يحيى بن محمد حميد الدين وكان أول شيء وقع عليه نظري هو حزر شعرة عواء لم تعقدها السنون كل مروعا قد رقت في منتصف الطريق تمنع المرور وينتهي عندها كل أثر للمسير . ولم تسكن العواصف والأعاصير محطة في الانقاء عليها لأنها — وقد كان إلى جانبها ثلة من الحنود من مختلف الأسلحة — كانت حارسه ذلك السد المسيع الذي يرسم الحدود الجنوبية لمملكة اليمن والذي يمرض على السائح الأجنبي قفرة بهلوانية ترجع به إلى ما وراء ستة قرون من الزمان .

وعلى مسافة كيلو مترين اثنين من الطريق كان يبدو للعيان الجرك اليمنى وكان به ما يقرب من الحصة عشر جنديا مسلحون كلهم حتى أسنانهم بينما كانت تبدو من خلال طيات عمامتهم المختلفة الألوان حرم صغيرة طريفة من أعواد نشه عواد الريحان ، وكانت وجوههم الزيتونية الخافتة تبسم للغريب الذي يسمح له الامام بالقيم برحلة إلى صماء .

ولا يذهب إلى صماء كل من أراد ذلك . ومكة — كما هو معلوم — محرمة على غير المسلمين وكذلك هذه المدينة المقدسة فهي بمكة السد مميعة الحجاب لا يدخلها من الأحاب إلا ذو حظ عظيم . لأنها تستقل في أحوال نادرة أحد الأحاب النادرين وهم رفضت الكثيرين من الراغبين في زيارتها وأنقهم بقسوة مبررة بعيدين عن أسوارها الطيبة الغبراء .

وإن صعبه الدحول في مملكة اليمن تحمل السفر إليه من الأمور المحبة المرغوب فيها لأن غار الشجرة المحرمة هي أشهى الثمار في كل زمان ومكان ، وقد قيل في الأمثال : أحب شيء إلى الإنسان ما منعا . واليوم بينما يستطيع كل إنسان أن يذهب متى شاء متى شاء ، وحيث أصبح كل دكن من أركان

المعمورة أهلاً بالسكان معروفة للجميع . وأخذت صور معالمة ومعابيه بالآلات التصوير ، وعرضت على لوحات السينما على ابدى الزائرين العديدين ، فان إمكان الدخول في بلاد مقفول يعتبر من الميراث الثمينة التي لا تقدر بمال ، وعلى الأخص إذا كان هذا البلد من بلاد العرب ، التي تحلب لنفس السائح بهجة الاكتشاف المزدوج : اكتشاف المكان واكتشاف الزمان

ويتساءل كثيرون عما إذا كانت بلاد العرب هي في الحقيقة جزء من القارة الآسيوية لأن الخليج الذي يفصل شبه الجزيرة عن لقارة السوداء لا يربط اناسه كثيراً على ذلك الخليج الذي يفصلها عن بلاد الفرس كما أن موصلات البلاد العربية مع الغرب كانت دائماً أكثر منها مع لشرق لأن حل الذين أتوا للاحتلال بالبدور السامية الذين تكون منهم شعب شبه الجزيرة الأول ، جاؤا من شواطئ لبحر الأحمر المتصلة ومع ذلك فان اقارة الآسيوية المعروفة لها نسل المدنية قديمة المظهر الذي مد العالم بالآسيا والمحربين والعلاسة ، الذي وقعت مياحه ونضب معينه منذ قرون لانزال تعرف بعدم انشقة بريرية فيها نحو الاخني — تلك الحصلة التي هي من حصائن لآسيويين والتي تدور لما تحت مختلف الاشكال في كل مكان من بلاد الشرق

وتضاف الى الصعوبات السياسية التي يلقاها من يريد زيارة اليمن مصاعب السعر المادية اذن الانتقال فيها لا يمكن ان يتم بدون وسائل شاقة مخصصة وبين مميزات اليمن الفريدة أنه لا يمتلك كيلو متراً واحداً من اسكك الحديدية وقد كانت هذه الميزة لمدينة على وشك للصياح في لعهد التركي عند ما حصلت شركة افريقية على امتداد انشاء خط سكة حديدية يمتد من الحديدية الى العاصمة البامية ولكن جاءت الحرب العظمى الاوروبية الاولى في سنة ١٩١٤ مكررة وقبل الاوان واوقفت الاعمال في هذا الخط بمجرد انشائها . وما لقصص التي كانت قد مدت على مسافة قصيرة من الساحل فقد حل محلها عنفة بعد أخرى أصحاب « اسبابيث » الذين كان يسوءهم ان يعودوا من الحديدية بمبار هراكيب حربية (ويقال ان الحكومة الافريقية ترسل في كل عام وبدون

انتطاع الى الحكومة اليابانية مذكرة تلح فيها بطلب تعويض عن الخسائر التي تحملها الشركة صاحبة هذا الامتياز وان الامام يستقبل هذه المدكرات بانتسامة ويودعها ضمن محفوظات الدولة واصايرها .

وفضلا عن ذلك فان الطرق في اليمن غير متوفرة والى سنوات قليلة كانت البلاد تجهل كل الخبل استعمال المعجلات ، د كانت تستعمل الخيول العربية الكريمة لرؤساء والكبراء ، كما كانت تستعمل الخمال والحير والغال للنقل الاحمال . ومن المعلوم انه في البلاد الاقل مدينية في افريقيه بدأت الخمال تفقد بسرعة ما قدر لها كدواب للحمل ولكن بلاد العرب بقيت البلاد الوحيدة التي تكثر فيها القوافل التي تزيد في بهجة مناظرها العظيمة الخلابة .

اما الآن فقد سهرت ههنا ايضا السيارة ولكنها تبدو كشيء دخيل وتمتاز كالمعوجة حميفة متأرجحة زحزحة غير امنية وكان استعمالها سببا في هياج بعض رؤساء الدين وثورتهم وهائم اولاء لا يزالون الى اليوم لا يستطيعون احماء كراهينهم واستسكارهم عندما يرون اراضي اليمن المقدسة يشوها ظهور تلك الآلة الجهنمية ، على ان معظم السيارات للقليلة التي استحصرت لا تزال باقية بدون استعمال أو تسيير حتى يصيبها شيء من العطب في المدرجات الصحرية أو على سفوح الجبال ثم تترك بدون اصلاح . وقد حصل أحد « سيوف الاسلام » أي أحد أبناء الامام على بعض السيارات وأجرها لبعض الأفراد وحدا حنفوه بعض الرؤساء الآخرين . ولكن هذه الوسيلة من وسائل النقل المسيطرة على حياة العرب إنما هي هنا بالنسبة لمن يستعملونها ليست إلا من الاشياء الكمالية التي لا يقصد بها إلا الزحف وحسب لظهور ولا شيء غير ذلك .

ما أعمال العبد في اليمن فانها بالرغم من بطئها تؤدي وظائفها عتسى الدقة والنظام ويقوم بها « سعة » يسرون على أقدامهم مسافات تقدر في بعض الأحيان بالثلثين أو الأربعمائة كيلو مترات ولا يركون الجبال والغال إلا في بعض المناطق فقط .

ومما لا شك فيه أن السيارة سوف تعرض نفسها أيضا في بلاد العربية

السعيدة إن عاجلاً أو آجلاً ، وكذلك سوف تنشأ لها في آخر الأمر بعض الطرق التي تظهر عليها تلك اللمع الأوروبية قلبلة الانحياض ، وسوف تنفذ في نظر بعض اليميين المتطعين صفتها الشيطانية ، فقد افتتح منذ سنتين للمواصلات بكثير من الحرارة والشجاعة طريق السيارات الذي يسدأ من صنعاء إلى الحديدة والذي يربط المصايف الغنية بالسيل والبحر كما يوجد الآن طريق آخر هو طريق « عدن - تعز » .

وبعد امضاء معاهدة الصداقة التي أبرمت في شهر فبراير من عام ١٩٣٤ اتفقت الحكومة اليمنية مع السلطات الانجليزية على ضرورة فتح بلاد اليمن للتجارة والتعامل مع عدن لمصلحة البلادين وقد على رسمياً إتمام الأعمال في الطريق الجديد . ويظهر الآن شريانه على خريطة بلاد العرب واصحاً كل الوضوح ، على أنه يوحّد طرق أخرى كثيرة تظهر لشكل عظيم في حرائط أفريقيا وآسيا ولكنها اذا ما بحث عنها على الطبيعة كان من الصعب الأمور العثور عليها وهذا هو مادما السائق « مسعود عوض » الذي له خبرة ومقدرة فريدة على قيادة سيارات في الأراضي اليمنية والذي كلف بمقاي في سيارته الثمينة من عدن إلى صنعاء وما حمله يستصعب معه مساعده « محمد عمده » الذي كان أول واحداته أن يدلنا على الطريق السوي ، وأن يساعدنا عندما يقتضي الحال أو عندما يتقطع أثر الاقدام .

وكان الى جانب السائق ومساعدته الخادم « عبد القادر » أحد أفراد قبيلة الاخضاري الذي كان يتكلم الإيطالية بطلاقة لأنه خدم مدة من الزمن في قناصل إيطاليا وذهب معه حيث بقى وقتاً طويلاً في مدينة « سبيسا » بإيطاليا وكان يتحدث معي بدون تركيف . أما السارة فلم تكن لتسمع لكثير من الناس غير من ذكرت لأنها كانت مشغولة بالأمثلة وقطع الغيار التي كان من المحتمل أن تصح ضرورية وكان بها أيضاً مقدار كبير من المؤونة من البنين والزيت فضلاً عن الأمثلة التي كانت تشتمل على الحفائث ، وعلى كمية عظيمة من الأشياء التي تكاد تكون السباحة في الوقت الحاضر قد نسيها تماماً ، هي ماء للشرب في زمرية من زهرميات الميدان وعدة علب من المأكولات

المحفولة وكان هناك أيضاً كيس من شأنه زيادة الحمل وزيادة كبيرة وهو كيس النقود لأن الشعب اليمني ليست له ثقة في قطع الأوراق التي يتعامل بها الناس في البلاد الأخرى كقنود أد أنه في اليمن كما في بلاد الحبشة يستعمل ريال « ماريا تيريرا » الذي تنحصر قيمته في ورته وانه ويتم الحق لعملة تدعو للأطمئنان ولكن حملها ثقيل معب . وكان في هذا الكيس الف من الريالات لانتقل ورنها عن التمنية والمشرين من الكيلو حرامات

كل أولئك قد صنف ونظم بعناية كبيرة في داخل العربة وعلى أطرافها وعلى حمالاتها ورفارفها وحل « عدد » فوق صفائح النمرين والحفائب وهو وائق من ثيابها تحمي رأسه من الاصطدام بسقف العربة وقد أتم « أحمد » الرحلة وهو حالس فوق الحافلة متعاشياً بما توفيه من ثبات عظيم من السقوط في الحقول عند كل هزة عيعة تنهزها السيارة

هذه الجولة الكبيرة وبهذه الخاشية المائنة سافرنا من عدن في الفجر وكان المصلحون الصالحون لا يراون على شامى البحر وأرحلهم مدلاء في المياه حيث يقومون بوصفهم الديني الحذل وقد وقفوا كلهم بعد ذلك في صفوف متراصة كأنهم في انتظار لقيام باستمر من عظيم . وقد مررنا بسرعة عظيمة تاركين عن إسمارنا ذلك المنظر الهيج لتلك الأهرام المصطنعة من الملاحات الإيطالية على حافة المستنقع المملوء بالماء ومضياً قدما بين الحدائق الغناء والقفار المسكهرة في بلدة « الشيخ عثمان »

وبعد وقفة قصيرة وقصاها في حرك حلطة لحج رأينا دحالا وحرراً وحفائر للجهل ومراقده وأرائك ومقاعد صمت كلها من أنفصان الصقاف محتدة على مول الطريق كما شهدنا وحوها تمدو عليها آثار السوم وحناجر دمشقية ورجيلات خمة متعددة الألوان والأحجام وبعد كل ذلك مباشرة ها نحن أولاء بأحد صريقتنا ونسج نحو بلدة « المسامير » مارين بعدة قوافل من الابل تتفرق عند ظهور السيارة في السهل الرملي المخدب الذي تظهر عليه من وقت لآخر بعض الأعشاب انقلية المسخرة ها وهناك وتقابل على سفوح الجبال على حين نغمة واحدة « لحج » وأدا بها نضم حقولا مائة مملوءة بأشجار

المانجو العالية ذات الأوراق الخضراء الكثيفة وشجيرات الموراصحة ذات
الرائحة العطرية البيضاء وحقول الأعشاب الطيبة التي انتطبت بين صفوف
الخيل . وتصرب هذه المروعات حقة حصراء حول تلك المدينة المنعزلة
المكونة من بيوت حقيرة سبت بالطين والتي نصم أيضا بعض اقصور ذات
الزخارف التي تهر اسطر ، نسر الخاطر وبعد أن تحظى الزائر ميدانا فسيحا
غير منتظم الشكل كانت تمرن فيه بعض العساكر بدون حماسة ظاهر على
استعمال المتراليور فيطير به عظيم من طرار لا يمكن وصفه وليس من السهل
تعريفه كله شرفات وكله أعمدة وكرابيش وزخارف من الزحام يهر الطر
كتب على واجهته بأحرف عربية واضحة وبمحمد عريض « قصر السلطان
عبد الكريم فصل » وقد وصفت ورقة يحمل لونها للأصفرار ثبتت ثلاثة
مسامير قدعته على باب الساء الذي يفتح في سور الحديقة وكتب عليها أن
الدخول ممنوع ولكن الإحباب الذين يتخطون حدود السلطنة بخيار مؤرر
من مقر حكومة عدن يستقبلون بكل ترحيب وإكرام

وقد قبل سلطان لحج مع الشكر حمية بريطانيا ومعاشا سنويا بتقاضاه
مها وبعض عيشة راضية مطمئة ونعمك بدون قسوة ولا شدة رعاياه
المخلصين كما أنه يخص بدون هوادة الرسوم وحركية من القوافل التي تخترق
أرض بلاده وهو يتطلب تقديم بعض حموده للساافرين من دوى الخيثة
والمقام يرافقهم في عربة قدعته حتى الحدود اليمنية . وقد استعملت
السياسة البريطانية منذ عهد بعيد طريقة المرتبات للسلامين والأمراء
والشخصيات الكبيرة ذات النفوذ وهي طريقة لا بأس بها ولو أنها لقيت
بعض النقد الشديد من بعض الانجليز الذين يجدون أنها تكلف حراسة الدولة
مالا كثيرا وتعتبر امرا فلاموحت له وفصلا عن ذلك فإن انجلترا قد باطت
منذ عدة سنوات مسألة اكتساب صداقة سكان البلاد العربية وثقتهم بمصلحتين
من مصلحتها احدهما « المكتب العربي » بالقاهرة وثانيتهما « المكتب
الهندي السياسي » بمدينة دلهي ويحدث غالبا أنه عندما يسند المكتب
المصري أحد الأمراء ويدفع له رتبا يكون المكتب الهندي يسند حصمه

وبدفع له راتباً آخر ، فظهر حادث من هذا النوع كان تلك المساعدات القيمة التي قدمت سحاً ، للحسين ملك الحجاز الأسبق الذي كان المكتب العربي يعضده ويعمل على توحيد كل شبه جزيرة العرب تحت سلطانه والذي طرح حاشاً ونحلي عن سلطته لابن السعود الذي ظالمنا لفت اليه المكتب الهندي عتاً أنظار لندره وحكومتها .

ثما سلطان لحج فهو رجل مهاب طيب القلب كرم الخلق حل همه هو تشييد القصور ذات الزخارف المسوعة والطرار الغرب وقد شيد قصراً في عدن في حي « كراز » اعد أن يذهب إليه من آن لأخرى سيارة حممة يقودها سائق حافي القدمين والآن يجبر بدعونه بفعل ما يشاء ولا يعارضونه ولا محتجون على هذا المنظر المناق للدوق والذي لا يشق مع حلال السلطة وهيبة الملك . وسطة لحج هي ثم أشهر جزء في « المحميات » .

وبعد لحج يقبل يندى ، الطريق المحدد الشهير وفيه تزداد آلام المسافر ومصاعبه فان آثار الاقدام تحتى بين الحبال لاسحت عن مسافد أول وعورة وهادن ، ولأه مدفع في مجرى السيول ثم بعد ثمانية فوق لصحور حيث ترتفع الاعشاب ذات امروع لطويلة وترخ السيارة اربحاحات قوية وتشب عمدها وترتفع عن الأرض وهي ترار رتباً عالياً فوق تلك الطرقات المكسرة وتحاصر تحصى بعض القمم الصحرية ثم لالتلت أن تسعصع وتزحف في بعض القنوات لكسرة بين لفائف ، مدرج الصحور المتعرفة هنا وهناك وينفى الماء في خرائها غلباناً شديداً ولا يستطيع المسافر بنية حال أن يقطع مسافة تزيد على الحصة عشر من الكيلة مترات في الساعة وبعد كل مائة متر تقطعها كان يسأل بعضاً بعضاً اذا كما تستطيع مواصلة السفر وعند ذلك تعودى لذكره الى كلفة الكولونيل الذي رأيته في دار الحفاة البريطانية في عدن والذي قال الى انى سأكون أول من يقوم بالسفر في سيارة وقطع المسافة كلها بين عدن ومدهاء ولكن هدفحات الطون وصاع كل أمل في السفر لأن هذه اعما هي رحلات كان من الخير أن تقوم بها على ظهور الابل على الطريقة القديمة في قافلة بطيئة أمية .

وبعد أن شحطى الحدود المنيعة تقبلها نحن ولأهنا بقى لأحداه من
بئر وقت إلى جانب ثلاث قنات بعلان منه حرره من الجراء الكلفة
ويزرنا بضحكنا، يحسن عا وحوهين وكات كل حركة تدو منهن تثير
في لجو ريتنا معدنيا عظما لأهين كن من رقاين إلى معاصهن ومن
حضورهن إلى كموسن كلهن حراس من الحلي والأحقة والتمائم... ترى
هل هن جميلات؟ أهين بعد أن يتحدثن في الكفاية يدرن وحوهين
نحوهن قري وبالعجب ثلاثة وحوه قد مبيت باللون الأصفر وهو لمحقوق
اسمه « الهرد » يشبه الزهرمان ولحسن الحظ لنا عندما أقرسا من المدبسة
قالت لنا: حريات متحضرات وذلك لأن السويبات في البلاد العربية هن
وحدهن اللاتي لا يحسن وحوهين واللاتي يحرسن - فرات في الطرافات ودا
كان السور و... الحجاب ممامم اتقدم والمديسة في عسى يكون ذلك
البد الذي يكون فيه الريف والعصر... كثر مدسة من المدن والساد

هاهي دي آثار الأقدام تتحدث بدرجياتم لا تلت في تظهر بوصوح هاهو
ذا الطريق يستقيم تمام (وسوى يكون الامام جد سعيد وسمر كل
السور عندما أذكر له في حاله عرفوا كيف يهدون الطريق في البلاد
حبرا من رجال المحميات) ولكن يجب أن يكون من تدو الأشياء مهور
سيارة واحدة في تلك المسافة إذ أن الأهل كانوا يحرون من القرى
والساكنين لينضموا في شريق وكديت كانت لماشية والامل نحو في حافة
مدعورة وكانت بوحد في بعض لوديان التي احترقها مراكر أهلة بالسكان
وحقول باسمه حصراء على أن بعض الوديان لا حري كانت تمشو كأهنا
الصحاري والقفار حيث لا ررع ولا صرع على أنها كانت كلام نحديها بعض
التحصينات الأولية البسيطة .

وتعالي شمس الشمس عند الغروب مطراً نديعا للأعشاب الكبيرة التي
تخلع على أراضي البلاد ثوباً نيقا من ألحاحها والحد وعبد أحد المعابر يشير
العبارة حري قطع من الجبال تحمل حائفة وتقطع شربها وعد مرونا أحد
الوديان نجد قطعاً لا أعد لها ولا حصر من القرية تهرب عند رؤيتها

وتصرح صراحاً بصم الآذان وتنساق فوق الجبال وهي تحمل صفارها فوق ظهورها .

وأخيراً نصل إلى تعر بعد الغروب عند ما تخفى الدور في عمق الصحور السمراء وخلف المساحد الناصعة الياض التي تخلص حر أنوار النهار والتي تبدو مآكنها الرشيقة العالية كأنها معلقة في الفضاء .



تعر . . . أو تاغر . . . أو قل ماشئت فإن الحمرانيين أنفسهم لا يعرفون حق المعرفة حقيقة مسم هذه المدينة اللطيفة الوادعة التي تبرق وسط واد من الوديان العيضة فوق مساحات الكيلة الحولية المسماة « صر » . وعر لا نتحدث كثيراً عن بعضنا ولا ندعو خدناً للتحدث عنها خارج حدود البلاد ولو أنها كانت على قرين ونصف قرن من الزمان حاضرة البلاد المسمى في أيام بني غسان الذين فتحوا مكة في سنة ١٧٣٧ ولا تزال هذه المدينة تحتفظ من ذلك العهد ببعضها التي تشهد على عظمتها بما فيها من المساحد والقباب ولاحد هذه المساحد مئذنة مألوفة لطيفة تبين بعض الميل كأنها رح مدينة « سرا » الشهير وكما تشهد على ذلك أيضاً حصونها لمقدمة فوق المرتفعات كأنها الأكايل أو اليعاز على أنه لم يبق أي أثر عند أسسها وسكانها لطيفين الذين هم شعب هادي وادع يعيش محتسباً في وادي الصالح الفياح دون أن يهم أقل اهتمام به بحري في أنحاء العالم الأخرى .

وإن ظهور غطاء للرأس ذي شكل « ورو » في مراكات مدينة تعر يمتد حادثاً لا يخلو من أهمية لأن الأشخاص الذين لم يعمروا لأول مرة أقل اهتمام ولكنهم بمجرد أن تكثر عددهم وأصبحوا عشرة هاهم أولاد يتشجعون ويأخذون في تتبع خطوات الأختى وبمقد قليل سرعان ما يتزايد عدد هذا الجمع بالتدريج حتى يصبح جمهوراً غفيراً وهذه الطريقة يتجمع نصف سكان المدينة الذين يمتنهي اللطف وبدون مصيقة الاحسب بأحد في السير خلفه في رياضاته وتنقلاته ويأخذون في بدء انجذابهم مثله عنانظر حوايت السوق الفتاة كما لو كانوا يرونها للمرة الأولى . وفي هذه الحوايت

تباع الأحذية والمراكيب والبرجيلات المراكشة والخد، التي يخفض بها النساء
اليخيات ندهن وقدامهن كما تباع برادع الخير والخل ذات الألوان الزاهية
والبخور المسكوى والشعير، الدخان والمر المسكوى والتبع وكيات كبيرة
من « القشر » الذي هو غلاف حبوب الس الذي يتجد منه الأهلون شرايا
لديها لأعني لهم عه وإداما أسرع الأحيى الخطى عليهم يجتدون حدوده وإذا
ما وقف حدة ندهم كلهم من حوله، وغنى عن السان أنه لا توجد أية فائدة
في هذه المادة الغريبة للأحيى الذي يدفعه حب الاستطلاع لتقصي الأشكال
والعادات والذي يرغب في رؤية كل شيء في قصر وقت ممكن.

مما هو أقل مهولة وأغرب مالا من ذلك رؤية الأمير القوي الذي
يحكم البلاد ليجن الحموية لأنه مادة لا يقيم في المدينة إذ حمل مقره فوق مرتفع
« در الصر » حيث يشرف منه على كل جزء من أجزاء المدينة تعرف للوصول
إلى مقره يقتضي الأمر مسيرة ساعة ونصف الساعة على متون النخل ولكن
هنا في استطاعة الإنسان أن يعرف عن معرفة شخصية عظيمه ذات أثر عظيم
أن السيد علي أورور هو الأمير الحقيقي الوحيد الموجود في البلاد اليمن لأن
غيره من الأمر « مام » لا فواد الجيش وهو مسجدر من أسرة من أعرق الأسر
في البلاد اسرسة طالما أمدت شبه الحرية بالملوك والرعماء والقادة من عهد بعيد.
أحدثت فافلسا الصغيرة في المسير بعد الفجر قليل وكانت رافقا في تلك
الرحلة « طريقة الممتعة مفررة من الحمد نهمهم رأك ولعمري الآخر راحل
وتخرج من المدينة تاركين عن عيسا حتى اليهود الحقيقين وبلاد الحمل صاعدين
في الحوض الخاف لأحد الوديان الذي ندرج على حوائه الحقول الصغيرة
التي هي نموذج للزراعة لوطية. وفي المناطق المقفرة على سطح التل تنتشر
أعشاب كثيرة تنتدى بعدها حقول « القات » الشهيرة

« قات » هو شجرة متواضعة ولكنها ذات أهمية عظيمة وثر كبير
في حياة اليمن ومن السهل أن يقع في الخطأ من أراد أن يحكم على هذه البلاد
على أساس العوامل السياسية والاقتصادية التي من أهمها زروة زروة اليمن
لطبيعية وشخصية الامام الفريدة ودساتر الدول الاحدية — بدون الاهتمام

بذلك الشاب العجيب (نى لقت) الذى يفتح تمام اليمسين بواب افراديس
الوهمية ، الذى يمرض عليهم قواعد وريضة في وجودها لان أهلى العربية
السعيدة اعتادوا من عدة قرون مصت معجور رافقه ، لهذه العادة قصة صريفة
فقد لاحظ أحد رعاة الابل في ذات يوم ان جماله بعد ان كلفت من تلك
الاوراق اعتزتها بشوة عرسه وحدث في التريح ولتمدد على الارض في مرج
واشراح دون ان يشعر برغبة في الحركة او لقيام ردى عمل حتى ان صرعا
بالرأب الغبيظة لم يكن يحرك منها ساكنا ولا يحلها تقوم من مكانها وحيل
أنها قد أصبحت عدسة الاحس حتى ولا بالالم لاسه رقت في الارض متمدده
كأنها في حلم لقد فدهش العربى وبقي برهه يفكر في ذلك الامر الغريب ولم
يلت ان جدا حدها وأكل هذا نصف من ذلك السات ومن ذلك وقت
حرص لرعاة على بعد بلهم عن رافقه وحده في سمها واستأزوا
هم بها دوما ، هكذا عم الحروز ونشر عرج وخبور في كل القلوب حتى
ان سمع القات لا يمكن تبريقه ويقال به عبرى فيه شيء من المراقبة ولاهلى
يحسونه حب العادة ويعتقون في سبيل الحصول عليه أكثر مما يصرفونه في
معاصمهم ، شراهم ويصنعون رافقه كل يوم في مختلف ساعات النهار
ويستمتعون بآثاره ومفعوله ولكن لتبيع الغسعى والهى الذى يحدث من
القات يتبعه المحللون بخطا ويتدل كذلك ان الافراط في معاشه شارب الحوم
والانقاص وصق الصدر ويكون سدا في اصعاف الحسى قبل الاوان ويحدث
عالم الماصفى اوقات المدمى عند ما يصون رى سن الخامسة والثلاثين أو
الاربعين ان يصحوا غير قادرين على ارضاء روحهم

و ليمسوا لا يستطيعون النهش بدون هذا السات العجيب وبالطبع ليس
كل لقت الذى يمت في اليد له نفس القيمة لان الممسى وبمطيه وهواة
يفصلون رواق نقت التى تقبت فوق متحدرات جبل « صير » ويعتبر
« قات » سرثرة عظيمة لرعيه ونعما مقبل لتلك الخلائق الماسغة وقد
حدث في لربيع الماصى عندما فتح الامام يحيى حدود بلاده للتجارة مع عدن
ان سافرت قافلة من نهر يحمل كمية عظيمة من لقت وانكر هذه القافلة

هوجت في سلطة لحج وهت وعندما علم بهذا الرد العظيم اليمينيون
المقيمون في عدن تكبدوا كدرا شديدا ووقعوا في ضيق شديد ولم يحض
ولم يتعروا عن هذا المصاح حتى عندما رأوا الطائرات البريطانية التي أرسلت
لتأديب هالي لقرى التي وقعت فيها الحادثة .

وأما المردوعات التي لها شكل الموالح فاتها تنهى هناك حيث يصح الحبل
صحراء حرداء . وهنا بين كومتين هائلتين من الصخور يفتح كهف عظيم
عجيب يقوم على حراسته عدد كبير من الحرس ، هو حراش الامير . وعلى
قمة هذا التل العجيب الذي يست القات والذي يحرس كسور على بن الوزير
يقوم قصر صغير أبهى كثير التصريف والعاريح له نوافذ كبيرة تزيناها
مشرقيات ابيقة كما تقف من حول هذا الحبل مبان حرسية من الصخر تتوج
قممها ابراج صغيرة من الحجارة السوداء . وفي الليل عندما يحضر على المواطنين
ارتقاء هذه المرتفعات يتظاهر الحشود بالقيام بالحراسة عندما يلقون بصيحاتهم
الطويلة من كل برج .

اما هو الذي يقيا فيه في اسطار الامير ولم يكن غير عرفة وسيحة الارحاء
واطنة بيضاء قد فرش حاشيا الخارجى بالنسطة ووسائد من كل لون وكانت ترى
من نوافدها المفتوحة على السماء الحد المتجمعة وبعد اشارة بالورى
يظهر ابن الورير يسده من اطيح رحلان من رجال انشريفات واصحاب
المقامات . ويستمع ابن الورير بصحة جيدة ولا يزال مستمرا في الحجاب الاولاد
رغم بصوح صه وهو ليس في حاجة وفي الحد لان يسده احد في تنقلاته
ولكن حركة الرحيل كانت لها قيمة اشريفية ولا شيء غير ذلك .

اتجه الامير نحونا ومد يده بالسلام عينا وبعد مصافحتنا انقسم للقائنا
فظهرت ثيابه واسنانه الذهبية وكان يحشى حلف نظارته لسوداء عينا مكشوفة
لان الحفري حرمه من احدى عينييه كما حرمه ايضا من تولى عرش اليمن لان
من الشروط اللارم توافرها في ترشح للانتخاب لامامة اليمن سلامة الجسم .
وكان ابن الوزير يرتدى قميصا طويلا ازرق اللون ذا ازرار معدنية

مستديرة يصمه إلى جسمه حرم موشى بالذهب يشد الخصر المقوس الذي
تلتف حول مقبضه مسحة من العبر ويتدلى على كتفيه شال أبيض أطرافه
موشاة بالذهب ويلبس على راسه عمامة كبيرة رشق بين طياتها قلم من أقلام
الحبر الأمريكية فبدا كأنه نيشان صغير!

وحديث ابن الورير لا يخفى من نهضة واسعة ولذة فهو رجل مثقف واسع
الاطلاع له الملم بكافة المسائل العامة لأنه يطالع باستمرار جرائد مصر واسطین
واشام وقد قال لي ان أوروبا قلقة مضطربة وان ما يحدث في بعض الدول
لا يشتر بالخير إلا اذا شاء الله أن يعطى السلام . وقد تكلم معي عن اليمن
وعما يحتويه من نزوة وعن مسئلة وكان تحدث بهدوء وثقة وقال لي ان
اليمن لا يزال يحتفظ بسببه مطلقا وادام بقول « نعم » لكل من يطلبون
اليمن المحصور فلا يجب أن يحظر المثل لنا قوم منعنون و أننا نكره
الأحاب أو نحقد على الغرباء وما ذلك إلا لأن الكثيرين منهم لا يطمئنوننا
على نفسيه التي يتوكلون بها اليأس وغالبا ما يكونون من الدسائس أو المهرجين
الخطيرين الذين يجب أن تبقى شرهم .

وتقع تحت ادارة هذا الأمير كل الأراضي المتاحة لمحبيات عدن البريطانية
وقد تم بحث الاخترا في عام ١٩٠٨ في أن تمقد مع الدب العالي اتفاقية تضمن
لها مزايا حمرافية هامة وقد وجدت هذه الاتفاقية مقاومة دائمة من الامام
الذي صار من في شرعية لامتيازات التي منحها نرك وقد كان لهذه المعارضة
أشكال مختلفة بعضها دموى كالذي حدث في سنة ١٩٢٨ وانتهى باحتلال
« الصالح » وقد تقرر في سنة ١٩٣٤ تعيين لجنة التحكيم بعية اجتمعت في
شهر اكتوبر من تلك السنة للمرة الأولى في منطقة « ماويه » بين تمز
والمسامير ولكن أعمالها لم تتقدم ولم تلت أن أوقفت اجتماعاتها نظراً لحلول
أعياد شهر رمضان على أن تعود إلى الاجتماع متى شاء الله . . وليس هناك
ما يوجب المعجلة على الأقل من الخاب اليمني اذ أن مدة هذا الاتفاق
أربعون عاما تبقى الحدود وحلالها كما هي الآن ما لم يتم اتفاق آخر في هذا
الشأن .

وقد حدثني الأمير عن أشياء كثيرة بينما كان الخدم يحملون صحافه القهوة الخوة اللذيذة الطعم لى كما اشربها في صايجين صغيره متعددة الالوان وقد عطلاني خطايا مكتونا باحرف عربية زحرفية لكى أحمله إلى الامام مغنونا باسم « مولانا امير المؤمنين حفظه الله » وعندما تخرج من القصر الابيض نجد حرس على بن الوزير الكثير العدد منجما في مربع وفي وسطهم الصفاط العظام والسياف وكلهم مدحج بالسلاح ولناثم كما كانت تتجمع في الافنية حمرة من الموطعين وقد وقف لكتب من فوق سطح بناء محقق ينظرون اليها وكاس الابرار العالية ملأى العنقم والحراة .

وفي المساء نوحه لافوم بريارة قصيرة وحة لعامل تمر في مقره وهو مرحرف بزحارف مذهشة مقلعة الطير وهو الذى يقابل فيه لعامل (وهو كالعبد في السن) صيوفه لعامل رحل شرف فصيح اللسان له عنوان خبيثة متعذره سوداء وله حد مستفح ولكن لا يحسن الى القصر اليه به يشكو او يتلم منه وقد قدم لى نالطع قهوة وكونا من الشراب سفسخى الاول لم اصعه بل في ثلثا انيك حرمة قواين لسياحة اشرفية

وليس العامل هو وحده كل من كان هناك بل كان معه نوحه ورميله الماعد اللهى حاء من (شيريام) كما كان معه ايضا بعض المعاهدين الآخرين كانت هم كلهم حدود واشداق م ورمة رى هل كانوا كلهم مصابين بمرض في اسبابه ؟

... احرا عمت من مصعبهم أنهم كانوا يحتفلون في أشداقهم بكية من أوراق القات ا

في مجاهل تهامة

وعندما سمعنا لسيارتنا متجهين شطر السهل والبحر نحترق مسطرة من أكثر المساق جمالاً وأعظمها حصونة في هذا اليمن الممهر الذي هو بحق « حديقة بلاد العرب » وما هو مأثور أن الرحالة الساميين الذين هاجروا من بلاد ما بين النهرين تأسحت عن أراض حديقة كانوا كثيراً في صحراء الجزيرة العربية لصحريّة الرمية وحاسوا حلالاً وحدثوا يصربون فيها شرقاً وغرباً حتى عنروا أخيراً لها على أرضهم الموعودة التي فيها خطوا رحلتهم وعاشوا فيها عيشة رغدة سعيدة وشيدوا لهم مدناً قوية مذهشة .

وفي الحق إذاً قارنا اليوم المماثل العربية الأخرى باليمن لوحدناها كلم، أراض رملية قاحلة فقيرة تستدعي الشفقة وتستهزل الرثاء إذ تشهد المملكة العربية السعودية بحسرة ولم في السموات الأخيرة نقصان دخلها من الحج إلى مكة نقصاناً كبيراً بينما تواجه حضرموت صعوبات كبيرة في تصدير عقاقيرها التي هي من صنف يقل كثيراً عن عقاقير بلاد الهند الشرقية كما أن صيد الثاؤني الشواطئ العربية لا يرل يسب الكثير من لصحايا البشرية دون أن يؤتي ثروة كبيرة للبلاد .

وان في الأراض اليمنية لمناظر بصرية بارعة الجمال وإذا كانت تهامة التي هي ذلك السهل الذي يبلغ اتساعه نحو الأربعين من الكيلومترات والذي يعتمد على طول شاطئ البحر الأحمر هي أرض قاحلة محترقة من المسطحة الحولية الواسعة والخصاب الشاسعة التي يتكون منها أهم جزء في البلاد يعتمد بمساح عظيم وثروة تستنفذ المطر لأنها تغل كل ما يمكن استغلاله بحيث تستطيع اليمن أن تلعب لاستكان أربعة أمثال سكانها الحاليين .

وهنا في أراضى تمر يقتصر السكان على الاشتغال بالزراعة على طريقة them القديمة المعهودة في الأراضى التي يمكن ربيها بسهولة وبدون أي عاء والتي

تعلي حيانا ثلاثة محاصيل في السنة كما تزرع في الوديان المجاورة لحصر بكثرة
 حنوية كما أن السجيل تعمر مناظر الريف الفاتنة وليسكنها أيضاً كما في بلاد
 الشرق يدهش الإنسان كل الدهشة للتمارس والسقن المعصين بين ثروة
 البلاد العظيمة وحالة السكان وبين حقول الذرة والقمح وأشجار العظيمة
 وحقول الموز بمحطة اببعة ومرروعات ابن والفن زاهرة ولساتين لما نحو
 ولداواتني تعلي ثمرا مائة مسجورة لحد في كثرتها ومقطعة السعير في
 حلاوتها - وبين اقصى الحقيرة الثمعة التي سبت جدرانها من قش وطين ،
 والطريق عادة ان هو الا يمشى يكاد يكون مخطوطا يرتفع حيانا وينحصر
 حيانا وهو يضم في طريقه كل نحويف وكل التحدار كما يستغرق كل بحري
 من بحاري لسول على أن أحمل شطر في الطريق بين نفر ومحد هو ذلك الجزء
 الذي يقامه المسافر في وادي « فبل » (هكذا) الذي يمتد عدة كيلو مترات في
 ممشى فحم من الحضرة اليانعة لان شجار السجيل المغموسة على حاضيه رسل
 في الحواصناتها لحصراء ولا يعوتني أن قول ان الطريق كثيراً ما يدخل في
 الوديان ويخترقها حتى لقد كانت المياه تعمل إلى منتصف عجلات ميسرها
 وليسكن العمق كان مساوياً بفعل السيول وكان في استطاعتها أن تسير بسرعة
 تزيد على أمة مرة مرابها في أمة عطه أخرى لولم تكن قد تجمعت في بحري
 ذلك الوادي كل فصلات القرويين وكانت السيارة كلما تقدمت إلى الأمام تفتت
 الحمال والانتار والحير والمعر والاعنام التي لا عدها ولا حصر والتي كانت
 في قمرها غير المنظمة ترقص رفصات معسكة دبابها السكيرة المسكنة
 بالشحم وهي منات ومثات من اماشية تقع فريسة الدعر والخرب من سيارتها
 فقعر أمامها في ذلك السمو الذي لا ينتهي حصرتة وهي تثر لمياه في كل
 الجهات وتثير رذاذه في الهواء .

وتتبع الوديان وكأنني بها تنسري في إحدى مساقط اجمال ثم لا تلت
 المزروعات الحصره أن تخذ في الاعمار وعندما تخرج إلى السهل نجد أمامنا
 الأرض القاحلة هي أرض مخترقة ذات لون أصفر دكن وعندما يتسدىء
 هبوب الخمسين تخذ الرمال في الالتفاف في لحوه حولنا وتسمع وجوهها .

هذا وليس في مقدور الرياح لتجفيف من الحر الذي يشتد حتى في قلب
انشاء في نهاية وعد نزولنا من ارتفاع ١٨٠٠ متر من تمر يصبح أول اتصال
لنا بالسهل المحرق معديا لحومنا وعمرنا لنومنا ولا نسمع لنا العاصفة
الرمية الهوواء الا ان نرى دار « مخا » وذلك عندما نصبح على أبواب هذه
المدينة الشهيرة .

رى ماذا حدث لمدينة « مخا » لذاتمة الصيت ؟ غابا اذا ماشو هدت من
بعيد من البحر لارال نستطيع أن نوهم المسافر مظهرها لأنها الى الآن تحتفظ
بمظهر مدينة جميلة مردهرة ولكنه اذا ما اقترب منها وتعلق في طرقاتها
تبدو كأنها ظلال فدره أو كأنها سلسلة من الخرائب متصلة الحلقات وأما
الحصون المشيدة على شواطئها التي تظهر في الصور القديمة والتي تعطي المدينة
مظهراً حريياً فكانها منهدة ومشوهة وتظهر من خلال ابراجها لعظيمة
المستديرة المدفع الحديثة القديمة يعبرها الصدا وحتى مساحدها فاما قد
عدت كلها منهدة متداعية اللهم لا انقليل منها التي لارال ما آدها العالية
المسرودة قائمة على قدمها وأما بيوتها فما هي الا مسحور فوق مسحور .

ولقد كانت « مخا » مد مائة عام مدينة هامة عظيمة الشأن واسعة
الحركة ولسكن سرعان ما سطتها كل من عدن والحديدة حائماً كبيراً من
تجارها وحركتها ونشاطها وهكذا بدت تدهورها السريع كأنه في سنة ١٩١١
انطلقت عليها السفن الحربية الايطالية فنادها فدكت حصونها التي كانت تحتلها
الحدود التركية فصلا عن بها في أثناء الحرب العظمى في سنة ١٩١٥ تحملت
وابلا من اقبال لتي اصابتها بأضرار بالغة ولقد وجد الملاحون البرتغاليون
والانجليز الذين كانوا أول من تعلق في لبحر الأحمر ارمياء (مخا) كانت
تتركز فيه كل الحركة لتجارية في الساحل لعمري ولكنها الآن اصححت
لا يدخلها اكثر من الاربعين « سنوكا » تأتي إليها في كل شهر لشحن لبن
والخود والزيد الذي تحملته الى مياء عصب في مستعمرة الارترية . واما اهل
المدينة فيسكنون اكوخاً صغيرة وعشاً بنيت على هامش الاطلال القديمة

الى حبيب حقول الحيل الكبيرة التي تحمي مدينة « مخا » وتقيها عائلة رمال الصحراء وكل ما فيها عدا ذلك ما هو الا قعر في قعر - واما الماني الاربعة او الخمسة التي لا تزال قائمة فيها فانها تبدو كأشباح في احدى الحانات .
على ان المني الوحيد الذي له شكل الاشياء الحية هو « لقار » ولكن بوره قد انقطع من اكثر من عشرين عاما تأمر لسلطات اليمية وبم يؤثر ان احد موكب اليمس الاقديين واسمهم « نغ بوه » قد استحق ان يطلق عليه اسم « رجل القارات » لانه هو الذي وضع اولي الاشارات الميرة على طول شواطئ بلاده ولو انه لا يوجد في اوقت الحاضر في بور يرشد الملاحين الذين يترددون على الشواطئ اليمية اني اصحبت كثيرة المكاس بسبب صفورها الكثيرة واعماقها البعيدة .

ومن ذلك لوقت اصبح صار « مخا » ما هو الا برج لا نفع منه ولا فائدة فيه ولا تزال الشركة الاحمية لني شيدته تستقي فيه حد الحراس وهو شيخ يوناني لم يعرف ملوالم حياته غير العيشة التي يقصدها في الابراج المعزلة التي تضيء طرقات المحيطات والبحار وهو يحب عرلته هذه كما يحب مهنته . ويقوم على حراسة انصار مكل عبادة والتفات في انتظار امارته متى سمح له بذلك .

ودار هذا الناسك مخمولة هي الاخرى معابة وهي ولو انها صغيرة الا نها ليست غير موفورة الكرامة اذ يوجد في هوها بياو حيل يقع حشبه كانه المرأة ولكن لم نحاول اية بد ان تعرف عليه او ان نسمع اعمامه وهكذا يظل البياو القديم بدون صوت كما امسى انصار بدون نور .

هذا وقد وقع لي حادث عادي جعلني ابرح « مخا » على عجل فقد كنت انظر من اعلى احد الماني القليلة الباقية على اقدامها الى قافلة بطيئة من الجمال المحملة ما كياس البين تنتشر بين طرقات الخرائب الحاسية واذا تقدم بحبرني بأن هناك خطراً يهددني اذا واصلت السفر عن طريق السهل ويطلب الى العودة الى عدن وحقيقة كانت الحكومة اليمية قد ادبت موافقتها على رحلي الى صعاء ولكن كان يراد مني ان ازل في المدينة ومنها ستنف

السفر الى العاصمة وأن أسلك لطريق الذي يسلكه الاحباب القليلون الذين
يسمح لهم بدخول اليمن ولكن لم اكن أعرف ذلك وقد علمت أخيراً بأن
الامام لم علم بوصولى الى تعز لتطف بالغاء أمره الاول وسمح لى فاختراق
أراضى نهامة ولكى الى هذه اللحظة لم اكن أنا ولا سلطات « محاسن » على
عمر عما جرى .

ولقد قررت فى الحال أن أتحدى السير الى الجديدة للوصول اليها فى أقرب
وقت ممكن ووافق رحالى كلهم على ذلك ولكن الذى نضايق أكثر من غيره
من هذا الحادث كان هو « عبد القادر » الذى لم يكن يحظر له بباله من
الممكن لاحتلال ووجات الصيافة بالراء احد الاحباب الذين سمح لهم بدخول
الدلاد بضرورة قطع رحلته والعودة من حيث أتى . وقد مره كثيراً أنسى
قررت مواصلة السفر بأسرع ما يمكن الى الجديدة ولكن هاجس أولاء عجز
فبسميح خارج مدينة « محاسن » سرعان ما وصل الطريق الذى لم يكن فى
سهل اساحلى سوى شريط من الرمال افسحت منه لاعتشاب وبعد لآلى
يصور لنا ثمة فسير على الحادة مدى تسعة كيلو مترات وفى هذه المرحلة
مكسبا دفع لسيارة والاندفاع بها بسرعة لكن لاسقى تحت رحمة مد البحر
انه لى وسكنا بعد قليل بدخل فى الارض الجرداء ونغرس سيارتنا بأكلها
فى رمال ومحاول عشياً حراحتها فلا نستطيع الى ذلك سبيلا وعندئذ تقدم
نا وحمد نحو القرية التى لخصا على بعد ثلاثة كيلو مترات فقم دورها
و« كواحها التى تغطيها بعض أشجار لدوم وفيها بقاى خمسة عشر رجلاً كلهم
نصاف عراة يمسون فوق رؤوسهم طرايش غريبة ويحملون فى أيديهم سلات
مضمورة وكانوا فى سيرهم يفرلون قطعاً من شباك الصيد كما تغزل النساء
الحوارب وقد ساعد هؤلاء الصيادون المهرة مهمة ونحوه على إخراج لسيارة
وتحميتها من الحقائق ثقبيلة وعلى إخراجها من الرمال وهكذا استطعنا
مواصلة سفرنا ولكن عندما وصلنا الى « الخوخة » كان الحوق قد اطم وكان
الليل قد ارحى سدوله .

ولقد كان وصل إلى (الخوخة) سناً في اضطراب أهليها وهياحهم فكانوا يهرعون السام عرائشهم المنيعة من الطير وكانت وجوههم الساحلة المرهقة تنسم عناه ما وقد حرت نخونا أيضاً النساء وكن واصعدت حمرهن الحراء فوق وجوههن وكذلك الاستفال لمرأة وفي رقابهم حنقات من الحديد هي تخائم تقسم شر الخن وشر حاسد اذا حسد . وكان هؤلاء الصغار يقرعون فترات هائلة علامة المرح والمرح والسرور .

وأخيراً خرج ليد « العاص » وهو مرتد فوصة (١) محطمة وقد وضع فوق رأسه قطعة من الخرقفة ولكنه دعلم أن هناك في لسيارة أحد الأعمام عادية إلى داره وخرج أيضاً بعد قليل مرتداً حلة رمادية ورقاء وحراماً مخرتور منه قطعة حشور مزرقة بالذهب وقد عرص على في لطف تمضية الين في « الخوخة » في داره ولما رأى اصراي على مواصلة سفر أعادني أحد حشد الحرس وعبدتد سرنا بعد أن شكرته ومعا رحلان فوق « رقارب » سيارة هما وحمد والحدي وكلاهما كان مهيأ لارشدهما إلى طريق الين لصمة ولكما في هذا الظلام الدامس سرعان ما نزل الطريق ، فخرج عن الحادة وعبدتد تنحه نحو نور كان يسمت من بعيد متحطين الكثير من الأحراش ، لكننا ان الرمية حتى نصل إلى قرية مكونة من عدة أكواح وقد سأل الحدي الذي لا يعرف السحرية ولا المراح بعض الأهالي عن طريق لسيارات وهام الأهالي يرشدونا اليها ولكما لا سعاد تقطع بعض الكيلومترات حتى نتحرف من حديد في الأرض الجرداء وعندما نصل إلى القرية الثانية يسادي الحندي جمعاً من الوطنيين ويختار من بينهم أربعة من أقوام نية وتكلمهم بالخرى على الطريق أمام لسيارة وكان يوجه ليهم من آن لآخر بعض كلمات غامضة

(ترى ماذا كان يقول لهم ؟... كان يقول انهم إذا لم طيعوا فإن العدل سوف يرسل اليهم جنوده)

(١) هذا هو س أهل الماشق ساحله في التروك

على أن هذا التهديد لم يكن في محله ولم يصدر ما يستوجب لأهلهم كانوا
يخرون دون أن يندم عليهم أي ملأوا أي امتعاض وكان السور المسمت من
مصبيح السيارة سير ظهورهم لسرعة العارية دنت لمصلات أي كان يتصب
مهم ، مرق نسب ما نالهم من الجهد والكلال من حريتهم انطوي في تلك
الليلة الحارة وكانوا من وقت لأخر يدرون غونا وجوههم ليطروا بهشة
طفلة السور لغوى الذي كان يتعبد ، كانوا ينشموون فتدو ثيابهم
الشديدة ليلهم

و بعد أن قطع نحو الاثنى عشر من الكيلو مترات وصلنا إلى قرية
استقبل فيها أربعة رجال بدلاء من الأربعة الذين كانوا معنا وسرنا على هذه
الحال من قرية إلى قرية ونحن نصرب في هذه الأرض الخرداء في
ثغرات الرجال الذين كانوا يتجددولف في كل قرية حتى دخلنا في منطقة
المرروعات الخبيثة مخدبة لا ريب في حدث كانت تظهر طريق تحلاء بين حقول
الذرة وعندئذ استقبلت عن دلائنا وواصلت السير بمعدنا

وسرعان ما رى على ضوء مصباح رحلين كبيرين قد بررا من حائط
مستحسن وقف أمامنا ثلاثة من الجند يلبسون قو وروسهم عمام حصراء
ولما تقترب منهم سمع منهم صوتا يشبه قوله من الذي في عرنة ، فيحييه
عند لقة در نحشوه بعض كلمات لم فهمهم وسرعان ما يفتح اسباب مصراعية
الثقيلين ، وعندما تسأله عما قاله يقول : قلت لهم انه سيد عظيم

• • •

ثم مسألة وجوده أي ، غرب في مدسه يمنية فانه لا تحب من المشقة
ولا سيما اذا كان ذلك في الساعة العاشرة مساء ، ولقدق هو مؤسسة لاحظ
لها هناك حيث لا تزال الصياغة نوعا من انهجة والسرور للأهلين ولا تحتاح
الى لصادق لا ببلاد التي طغأت فيها المدينة نور المودة لا تسلد الى يكون
فيها المسلم ، طيب جد سعيدان يبال شرف استقبال معلم طيب آخر في داره
ليعمره بمودته ولطفه

ولكن ترى ماذا يكون الحال اذا كان هذا الزائر من غير المؤمنين ؟

لقد قال لي عبد القادر أنه ليس أمامنا إلا الذهب إلى العامل .

ولما فعل مصراع الباب الخشبي لمدينة « ريد » حلب أكتافها ختمع
العسكر كلهم حولها وأخذوا يظرون لنا في دهشة على أنوار مصابيحهم
الحرارة وقد حمل كل منهم في يده خرقة صغيرة من أوراق انبات أحد يجمع
فيها في هدوء وحمية ، ولكن عندما كانوا يتمتعون عندما كانوا يقربون
على النكلم ؟ كانوا يعتوب بكلمة حاشية صائحين : العامل — ثم يأخذون
في الحرق أمام مصرعين في طرقات « ريد » المسقة المقفرة الممتية وعندما
يصلون إلى دار المواشي الأكمة كانا يهجمون مجموعهم على السرور ويحدثون
حالة ضاحكة وضوضاء خبيثة ثم أنهم يدون أن يسفروا وصول رب البيت
يحدثون في « المرح » ويبعدون عن ارتقاء إحدى الأثاث العالية
المصنوعة من أعواد الصفاف والتي يصبغ عليها اسم « لعجرب » وكان
« المرح » معروفًا بسط فارسية وصفت فوقها « سائد » الطير صعدت
على طائر الحدران ثم يخلصون صميم في شكل نصف دائرة مضي وعيونهم
متعبه نحوي وتغتر معورهم عن انساامهم كما لو كانوا يريدون أن يعمدون
أنهم يكونون حاد سعداء لو أتيح لهم القيام في ربة خدمة ومع ذلك فاني
أشعر بشيء من الارتباك والاثراح عندما رى نهاية هذا الحدث عند
وصول العامل .

« المرح » هو بهو الدار الخمية ويتكون في بعض الأحيان من
مقصف في منتصف الحديقة وأحياناً يكون كما هو هنا غرفة مرتفعة فوق
سقف الدار بطيعة معلقة الهواء وباردة بين سطحين تحميها الحدران العالية
من الطرات الحديثة ويصل مع العامل بعض الخدم ويضع خدم فوق المائدة
برحيلة مزدوجة مصنوعة من النحاس الأصفر قد وشيت بخاروف لطيفة من
العصاة وبها حراطوم حمر من الخلد نال الطول مزين بشرائط وخطوط ممتدة
الألوان كما وضع « النوري » المصنوع من الصلصال والذي يفتح لي أعلى وقد
ملى بالدهان المروع في حصر موت والذي يصدر من المسكلا في كيات كبرة
إلى اشرق الاسلاي ويضع الخادم بعناية كبرة فوق التسع قطعاً موقدة من

المعجم ولكن ترى لماذا يحب أن يتأكد من صلاحية الترجيلة بأخذه معه
أفليس من الدخان منها قليل تقدمهما للضيف الأحمى ؟ ولعل هذا هو
ما لحقنى فى تسخين سحائر عدد الكريهة "

وعامل « ربيد » رجل يبدو عليه الوطار ووحافة وهو دكى لطيف
المعشر يصنع لحيتته بالحساء ويضع فوق كتاف ولادته شيلاناً صغيرة غريبة
بيضاء، فيها نخوم ورقاء وقد تلطفت وعرض على المسبب فى مقرحه ولكن ترى
هل يوجد أى اعتراض فى أن أخرج فوق السطح سرورى السرى وأنام عليه ؟
لم يكن هناك ما يمنع ذلك وكان فى استطاعتى أن أفعل ما بدا لى ولكن
ليكن ذلك فيما بعد . وقد فرشت « رصية » الممرح « الحصى » وه سمعت فوق
الحصى (صدى) من احتاس يبلغ طول قطرها نحو المتر وقد صمغ الحصى
فوق اصبعية عدة صحنون ملأى بالزور والمعجم والبيض والحصى والمأكلة
ها هو ذا عبد الله در يتدارك الأمر ، يعتبر صدقة عن عدم لتروى لى
أقابل به دعوة التعامل لى تناول الطعام معه ومع الموجودين ولكنى يبرر
حركتى هذه أحد بعض الكثير من عوائد أهل العرب « غريبة » ثم يتجنى لى
جانب حيث أجد فى تناول طعامى بمردى بحيث كنت أرى : حوله الآكلين
الحائسين حول اصبية الكثرة والذين كانوا يظهرون رتياحهم وسرورهم
لدى مهموما رب الدرب أن ملعمه سائق ليدى وعندما يصرفون وأحدى
اليوم كان موا ، انقطع قطع على ليدى رقادى الذى انتهى فى الصباح الساكر
على تفريد اصيور التى أخذت لها عشوشاً تحت سقف « الممرح »

وعند اصلاح الممرحات كانت « ربيد » كلها قد استيقظت ، كان الأهواون قد
خرجوا من مساكنهم الواطنة وانتشروا فى طرقات السوق المستقوفة بالحصى
يتنقون من فصل الله ترى هل التكثير هو عادة أهل هذه المدينة القديمة
العامة الكادحة التى ياركها اسى محمد والننى تحتوى على أحد المعاهد الإسلامية
الكبيرة فى بلاد العرب ؟ — فى تلك الساعة المسكرة بدأت مشات المطارق
الحشوية تدق دقات مستطعة فى جانب من المدنة فوق السنادين التى امتدت
فوق الأقمشة الزرقاء المراد صقلها وتبيعها لادخال الهجة والسرور

على عيوس لبداء التميميات على أن ثروة « ربيد » ليست وحدها في صنع
فمشتها التميمية ، لكنها أيضاً في حقولها لعظيمة ابيابها التي تمتد حولها ، واتى
بروبها في فصل الأمطار أحد الوديان الحبية ويكسبها الخصب بما يخلب أيها
من كيات كبيرة من الظنى المصلح الذي يحرقه المياه من الأراضي المرتفعة
عند اصطدامها بها . واداما حرج الانسان من المدسة متجها نحو لشمل
فانه يسير عدة كيلو مترات وسط المروروات الزاهرة والجدول ببيعة ، وعندما
يتدى ، الأرض لمحلة الجرداء تدرك لاسان « قد تبع رعى » الزرايين «

والزرايين شوارع متمسكون علىهيب شامى الذي هو أحد المذهب
الاسلامية لأربعة بيتا يكون معظم هالى اليمن من « اشيعه » ونحو
عديهم اسم « الزبود » ورئيسهم الأعلى هو الامام يحيى . والزرايين لصوص
وقطع طرق مشهورون ، لم يخضعوا للسلاط لتسعة في صعد ، الا من سمع
سنوات وعندما كانت اليمن ولاية عثمانية كانت بلادهم تنتم بالاسقلال لدى
حتمت به بعد تحرير اليمن من التبر التركى ولم يقدر هذا لاستقلال لا في
سنة ١٩٢٨ عندما حبر سيف الاسلام احمد كبر انجال الامام يحيى حملة
عسكرية صده في تهامة ونصر عليهم عد صراع دام سنين عندما سقطت
قعدة « بيت التميمية » ولا تزال تشهد اى الآن في سهل الممتد من ربيد
والخديدة بقاما معسكرات الزرايين وهى « كواح » فقدت سقوطها لتي كانت
مصنوعة من نقش واتى حدث تداعى حذر بها العنابية الصغيرة الممدبرة
بعض الأمطار وهى العلامة الوحيدة الباهرة والاثرا الوحيد الذي تحف
عن المعارك التي لم يمس عليها من طوين ولكن الخلاف المذهبى لا يزال
يبقى الاحتقاد كامنة في بعض صدور لفرقتين (١) ، والزرايين الملمومون بأرسال
عدد من الزهائن الى صنعاء والخديدة نحن الآن اهم كمعوا عن نسب
والسبب للعودة الى الانحسار واعمل في الحقول ورئيسهم هو « لشيع حمد

الفتية . ويعيش هذا الزعيم آمن مطمئن في قرنته الساحية و انطاقيـ
على أن هدوءه هذا فيه طعم ليرص والانتظار (١)

ويبت للفقير ككل سكانها مدسة حربية . وهذه المدينة التي كانت في
رمن ما محطة لتجمع والتصدير التي كانت تخرج منها كل حاصلات ليرمن من
الس ليس بها الآن مه كميات هامة ولكن قلعتها هي بناء ضخيم ذو حدران
عالية وتقوم فوق حدرانها أبراج مستديرة مرتفعة يرى مسجدها الكبر
من بعيد عثمسته الدالة الارتفاع وليس فيها عدا ذلك سوى بيوت وامنة
واكواخ ولا شيء غير ذلك .

وتقع عاصمته اررابيق على سفح الجبل وهي نقطة تقابل لمدة مرق من
طريق اقواص وفي هذه المنطقة الكمر على الخطة عدة ديار ذات مروجات
يامة تعلو محصولات وفيرة ومن بيت اعمية الى الخديدة سقطف الطرق
ثانية نحو البحر في حلال الارضى لرمية الجرداء حيث يندر وجود امرى
وربما كان هذا هو الجزء الاكبر جدياً في هامة كل الذي تحول لقواص
ان تقصعه بمنتهى السرعة . وتنعكس سمعه لان من بعيد حلف الاحراش
الواضحة على الافق وتسير الواحدة تلو الأخرى على مسافات متساوية سطاه
وتتموح كما لو كانت تحمال تمثيل حركة البحر على مسرح احد لملاهي
التشيلية .

ويثير صحيح محرك السيرة لقافلة كلها فنقف الاس والخبز والماعز
مصطرفة في الانظار ولكها عندما تصير السيارة على بعد العشرين قدما
مها تهرق وتحرق مدعورة في الارض الجرداء ومن خلفها الرجال وقد
تكون القافلة في بعض الاحيان ذات اهمية اذ قد يكون فوق سون الان
شيء ثمن الكثير من كيس مر الس او اربعة صغار من الكبير وسيراد

(١) تولى هذا الشيخ من نحو ست سنوات

يكون احد الاعبياء لعرب راکباً فوق بغلة بيضاء ذات بردعة جميلة وهو مسافر مع حريمه وعند اقرب السبابة من القافلة يخلع أحد الخدم «عوطه» ويفضي بها رأس العلة لكي لا تحب كما يسرع الخدم الآخرون الى المحافظة على الابل بينما يحى النساء وجوههن تحت اشبال المتعددة الألوان .

اما كثر نهمة الرملية فاما تثير موحاتها على اسوار الحديدة . تصح لها صرقة بين «لعرأش» المصنوعة من نقش واثني يسكنها جمالو الميساء واول تحية تقدمها الحديدة لمرثى لاسره كثيراً ولكنه بمجرد ان يدخل في المساكن يجد أمامه حصة مسحة الارعاء ويجعل من المقابر لاتمام للعرب المخرن أو الاندلس من ادبهم شيدوا حولها ما كتبهم كما صفت مقدمهم مؤتمده على الطريق الموصلة بين المدينة والقصور . وما الحياة في الحديدة التي تهترأ طرف . ثم مدد اليهم طاب تحضر في طرقاتها المؤدية الى الميساء القهر الذي لا يمكن ان يدخله الا «السبايك» وفي جمهرة محتامه الاشكال بدبعة فامة من التحار والمجانة وكبير المومنين ومن الخليل لود ومن امه الرشيفات المرفعت ومن اسدونات المحجبات بالخرق وكل هؤلاء يحولون في كل مكان وفي كل طريق فتعنت مساطرهم لسرور وسهجة في النفوس .

وتتفرق على ميساء الحديدة تحمل قصور المدينة ذات السموات المعرربة الاصيص والمشربات الأليقة وقد بيت كل هذه القصور لموطنين الترك ولسكنى قسائل الدول الاحبية في العهد الذي كانت ابلاد الاحرى تستطيع ان ترسل الى اليمن ثمنها . وقد تهدمت بعض هذه القصور في أثناء الحرب العظمى بفعل القنابل التي ألقيت على الحديدة ولم ترفع أنقاضها كلها الى الآن .

وبعد ان مر عيادين أخرى بلبها حصة أخرى تخرج الى الارض الخرداء وعندئذ ترى لطريق الموصل الى صنعاء يتجه نحو شمال على طول شاطئ

الحرق قبل أن يبنى نحو جبال حرار . لكننا عندما بهم بالخروج من
المدينة يقفل الحدود لطريق في وجوها اذ يحب على ما يوح أن يخص على
حور مرور من الحاكم .

ولكن ترى ما فائدة تصريح الامام ؟

ما تصريح الامام فلا بأس به ولا يدمنه اذ مدونه ما كان لي أن أخطئ
والحدث الى هؤلاء الحدود لظرفاء لمخصين في طريق مدينة عمية . ولكن
اذا ما وصل الى المدينة الاحمسي الذي يريد مواصلة السفر الى مدينة الزيديين
المقدسة فانه يتحتم عليه أن يحصل على تصريح من الحاكم بعد موافقة تافراوية
من الملك عليه .

واذن اذا عينا الا اصبروا لاستسلام لتدقيق مذهب الجديدة وهراتها "

بكرة ... إن شاء الله !

لأنس من لاقامة في مدينته الجديدة في قلب اشاء . . . ليس كذلك ؟
ولم لا يكون ذلك ودرجة الحرارة فيها لا تنقص أبداً عن الخمسة والثلاثين ؟
وقد تحدث في بعض الأحيان أن يشعر الإنسان بأنه يكاد يحترق من شدة
حرها لأن زرع الموسمية لا تنير في الجو عند هبوبها إلا كتلة تراصة من الهواء
بلاذخ الذي يشوي أوجوه وفي المساء لا يكون الجو ممحلاً إلا في الخلاء وفي
حارج المدينة ولكن إذا ما قرب الإنسان من دور لسكنى فانه سرعان
ما يشعر بالحرارة التي تجمععت حول لهار والتي ليس من ليس يران تقدد أو
تغرق بسرعة وهي حرارة شديدة قاسية .

ومن أحد الأمية يصير أحد الأنواع المريحة المسكرة الصوت على
داعة أبعاد متقطعة غير مسجمة ولا محالة وتحت شادة باشرة . . .
تري ما هذا الذي سمع ؟ لم يقولوا أن الآلات الموسيقية محرمة في مملكة
الامام كل التحريم ؟

نعم انها محرمة وممنوعة ممّا نادى الله الا ما كان منها مخصصاً للحديث :
ولكن ليس في استطاعه رياسته الحرس أن تنحب هذا الشدود في
الالحان ؟ ليس ذلك شدودا في اللحن ولكن مقصوعات ممنوعة حيشة
بشت بها النافحون في أنواق صلاحيتهم ومقدرتهم وطول أعاسهم .

على أنه على كل صوت يخرج من ذلك ليرق كان يردد عشاء المسوه للآتي
يعمل في حرر حبوب لس . وهؤلاء لسن غريبات صمجات بل هن من سلاله
ذلك الجنس الذي طهر في لبلاد النمية منذ عهد الهرو الحبشي وهن يسرن
في انطرافات ويخرجن الى الاسواق سافرات الوجوه ويرندن ثوابصعت من
أقمشة ذات أنوار راهية ويقصين طول نهارهن مقترشات بلاط يسوت
انتصير وأمامهن حكومات عالية من حبوب لس وذلك لأن هذه انصاعة

العقبة التي تحملها القوافل من مكان اشحبا - والتي يستريحها العدم بامرهم
ويتلذذ شربهم، بحيث أن تمر قبل كل شيء من خلال ما كينت «ولية سيطرة
دلت صوت عال وصحيح يصم الآذان تنظمها وتخليصها مما يكون قد عاق
- امن الخمار والحصى - القذور ثم بعد ذلك تسلم الى هؤلاء النسوة اللاتي
يأخذن في فرر الحلات وحدة بعد واحدة ويقمن بعملهن هذا في هدوء
وسكون وهن يقفن في ثناء ذلك عابهن المشحبة ايرهن عن نفوسهن ولكي
لا يشعرن بالآمة ولأن من هذا العمل المرهق ولكي يستجلس العباس الى
حقون أطفالهن المعمر الذين يمددون فوق كومات السهمهم يكادون
يكونون عراة الاحسام .

ويوضع اسن بداخل كيس من مروحة نحت من اياق السجود هي
«تسعة» بحا لتقليديه ثم يحمل هذه الأكياس الى المياه بواسطة حدين يتداول
اواحد منهم فلامه من العملة حسية عن كل كيس يصعها في فقه ويجري
وفي المياه ينتظر حمولون آخرون يدحون في امه حتى صدورهم وهم يحملون
هذه الأكياس ويلقون بها في «اسبايك» وهو في عملهم هذا يعون
تأنيهم ويرددون «هرنجهم المشحبة» ووصح نه اذاع من الصمت على
هؤلاء، وأولئك لما استمعوا واحد منهم أن يحرك أصعا واحد من أصامه
وكذلك يسمى المسؤولون المكشوفون الذين يسرون في طاور وكل منهم
واضع يده على كتف رميته الذي يستق من خلال لمرقات المردجة . ويعنى
أيضا المحايين الخطرون الذين سبب انعدام الممارسات في بهم يلتجئون اليها
ويجسسون بين حدرانها - يركون حيث يتسكعون في طرقات «الجديدة»
كما يشاءون كذلك ليس من الامور انيسة ان يخرج ابااس لتتحول في طرقات
الجديدة دة لان تاجر الخلود لا يرى مديا عنه من أشغال مائه متر مربع من
أرض الميدان لشر بضاعته وتحمصها ثم يبقى ام حانها وميده راوطة طويلة لمطاردة
لصقور والغراب التي تحديق رائحة الدباغة فتأني جمعات ووحداا وترتطم
بعضها بعض وهي تنقص بشرافة على هذه البضاعة الكريمة لراحة كما أن
تجار الخبواب ومصدرها يمدون الحصير على أرض الطريق ويأخذون في تسعة

الذرة والبن والسهم والحناء التي تصدر عنها إلى الخارج بواسطة رحاطهم أما من قام حفلة من حفلات لمرس الختان فانه يحدد الحرية الزمة لاغلاق الطريق اغلاقا تاما في الجزء الذي يقع امام داره ويقم فيه بالسجود والحصير بها فخصما يستقل فيه كل مدعويه .

أما السوق فان كل الطرق الموصلة اليها تكتسح الموقر وزدحم بالرجال والخير والخبير والأعيان والماءر والأكياس المنتشرة على الارض ، وتقرت وصنائع النربس والكبروسى وتكتظ بمجمهرة كبيرة من التجار والحالين والمجانة ورجال الحمارك وكل هؤلاء لهم أصوات وأحداث لا تقطع وحدة وموصاه لانهدأ ياربهم فيها من المقهى التي تنفتح أبوابها حول السوق — الزدحم المتعددون فوق أسرة طويلة من لصفوف أمام الموائد وأمامهم الرحيلات المراكشة يجرح منها الدخان فيعلا أطواء .

وفي الطرقات للثوية القريبة من السوق يوجد دائما جمهور كثير لصحبح والحلة فيجلس الباعة على أبواب حوائثهم يشربون ويدخنون هم يضا و يصاعفهم معروضة على مقاعد مستطيلة أمامهم ومن آخر يجرح الواحد منهم دون أن يبرح مكانه بدنة طويلة يهش بها على مصاعته ويشرب غيما من لذاب وعذائد يندو الملح والعب والخير والسهم والخيرى وقد رصت في سلات حميلة متعددة الألوان .

أما حوار السمر إلى صباء فانه لا يصل . . . واذن لابد من مقالة حاكم المدينة للتحدث معه في شأنه وللهذهاب إليه كان يتجتم على أن أقطع طريقا زمليا طويلا تغوص فيه القدم حتى لكعب مدى نصف ساعة على الأقل لأن دار الحكومة قد بنيت في خارج المدينة على حدود الأرض الحرة . وأقيم حولها سور من القش وعلى بابها كشكال يبي أحدها بالطوب وأقيم الثاني من حصير وقد وقف حول كل كشك من الكشكين ستة من العساكر كما علقت في مدخل الدار على الحدران السلاسل والأغلال التي تقيد بها أقدام المسجونين .

وحاكم المدينة شخصية كبيرة محترمة وموظف ذو شأن عظيم وهو

ايضا أحد أفراد أسرة «الورر» ان عمه «مير» تعرف وقد ولي هذا المنصب الخطير رعباً خدائاً سهلاً لأنه قد تحدثت خلية للميكروالاده اذ تولى قيادة عدة حملات عسكرية . بها احلة على بلاد العسير ثم انه في أثناء الخلاف الأخير بين الحجاز و«يمين» فاه بالمحدثات والماء ، صارت لديبلوماسية ومضى بيده عن اليمن «تدقيقه الصائف» التي وصفت جداً ، خصوصاً بين القطرين العربيين ولقد رأت شي حدرا ان اموال الذي استقرى فيه سيقاً ذهبياً معافاً وهو الذي تهدده الملك اس سعود بعد توقيع «معاهدة الصداقة لاسلامية والاخوة العرب» .

ولقد ولى ان نورير هذا المنصب على اثر عودته من الحجاز وسكن هذا القصر الفخيم الذي كان الأمير فيصل اس سعود يبعد منه حتى نام فلا تنم قرأ طينة ركن .

وعند الله . نورير يفيض رقة ولقاء وتندو على عجايبه علام لقصته وأمارب الذكاء وقد ستمل استقلاً حذلاً اهم بالسؤال عن صحته وعما صادفته في رحلتى ثم حديثاً أى عن الأحوال في أوربا وقدم لي فحناً من القهوة وكوناً من اشرف كما حدثني حديثاً مستمعاً عن سيرته وعن الأعمال التي اغرم اقديم بها في الحديدية لحانة شوافته من فعل البحر الذي يكسها تدرجها .

ولكن لا يتابع ان يسمى «المفريج» موصلة لسفر الى مسه قبل موافقة الامام ؟

نرى متى نصل هذه الموافقة ؟

نكره . ان شاء الله . قال لي هذه العبارة وهو ينتمى لاسماة عدة بدت من خلال لحيته السوداء .

ومدينة الحديدية اداقورت بغيرها من المدن اليمنية كانت بلا شك أكثرها حركة وأعظم نشاطاً وتم فيها لعدد القليل من الاحادب المقيمين في اليمن . وعلى بعد نصف خطوات منها تركز معظم تجارة اليمن الخارجية ولعمارة التي تسيطر على كل المعاملات وتتردد في كل الاحاديث هي دئ هذه :

« نكره . ان شاء الله ! » لان مصاعب الحياة وشدنها تدلها هذه الثقة في غد يكون فيه الفرج بفضل الله ورحمته

ورعنا كان ذلك من فطرة عرب اليمن وطعمهم لان أوراق انقات التي يعضفونها وسور القرآن التي لا يفتون يرتونها لما يشرب ويقوى هذه لفلسفة التي تسهل على الرؤساء والحكام عظامهم . وحاكم الحديدية رحل فطن حين بالامور يسعى جهده للاملاح . يهتم كل الاهتمام بالمحبة على اروح الدينية في الشعب ويعمل على ذلك بكل الطرق التي تراها واني يستطعهم وكما ان طرس الاكر فيصر روسيا ثم الروسين يخلق لحظه عند ما شرع في انقاض الشعب الروسي وامر باعدام من لا يحقق لحيته كذلك فعل عند الله ، الودير اذ فرض على كل المواطنين ان يرسلوا حول دفوسهم كل ما مسحهم الله من شعر كما انه في نوبات الصواب الحس يرسل عما كره ليتحول في الاسواق لك كد من ن الجميع قد احنوا دعوة المؤذن للصلاة .

ويدخل في الحديدية من « انقات » ما يكفي لادخال اسرور والسهجة على نفوس ثلاثة اصناف سكانها على انه لا تدخنها قطرة واحدة من لبيد او من أي نوع آخر من المشروبات الروحية وهذا ما لا يسابق اليمنيين في شيء . ولكن ترى ماذا يكون حال الاوروبيين ؟

في كل يوم يقف عشو لشركات الانجليزية التجارية ووكلاؤها من أعلى دور المطلة على البحر ويدورون باعبيهم في الاعنق عليهم يلحون أية سفينة قادمة لان الاعمال التجارية وحركة المواصلات في البحر الاحمر لا ينتظم لها حال ولا يوحد موعد محدد لوصول السفن أو قيامها بل ان المواعيد تتغير حسب ضرورات الشحن ونوع الاحوال البحر ، الجو ومراح القبطان وعندما تصل إحدى السفن أمام ميناء الحديدية تلقى مرساها على بعد ثلاثة أميال من الشاطئ وللوصول ليها يحجب على الانسان أن يقضي نصف سهار على ظهر احد السايك وعندئذ فقط يكون في استطاعته تناول كوب من الويسكي اذا شاء . وما يلاحظ على هذا النظام الخاف ان أعضاء البعثة التجارية الروسية الذين يطلق عليهم العرب اسم « المسكوف » من لمستطاع أن يتناول الانسان

في دورهم لشأى لفاخر ويستمع الى شئ من الخن رواية «كارمن» من
اسطورة في حرامودون قديم صبحت لكثرة استعمالها تم عن حشرجة
جاحدة لصوت ذلك المعنى المفلوم ولا يبدو ان الروس يقومون في اليمن
بصعقات طيبة وبأثمان تجارية واسعة النطاق ووفرة المكاسب لان مسافة
اليابانيين الذين احتلوا أيضا بلاد العرب وغزوها بمتوحدهم الرخيصة
الكربية لا يمكن لتمب عليها بحال. وقد يحدث في بعض الاحيان ان
يلقى افاخر الرسمى بعض الصعوبة في تحصيل ثمن بضاعته. ومع كل فهم
يقعون هذا بلا عمل، ومحرمون أنفسهم من شرائهم «لفودكا» حيث
يستبدلون برءوسيا بحجم الجديدة

وفي ثناء ذلك يردحهم العرب في سائر القارات ويأخذ الداعة في الترويج بأعواده
الرشيقة في الهواء وهم يصيحون والناس من حولهم واقفون يتسمعون وقد
صعدوا في حالة شوه سما يكون السماء من فوقهم قد اسطعت بلون الورد.
وهذه هي الساعات التي يردحهم بها المسئولون وهم الخراء والعارزون وعلماء النفس
الدارعون : وفي مساطرم ما يحزن وما يدعو للسفرية وما يصحك وما يركي
في آن واحد فهناك من يطلب «الحسنة» دون أن يفوه بكلمة واحدة ومنهم
من يطلب للمونة والمساعدة وهو يثد الاشعار ومنهم من يحلس في ركن
من ركن الطريق يستعطف الجمهور بمحلف الطرق والوسائل.

وأخيرا يأتي رضى لاحمارى بوصول تصريح الامام فاجد أشد افيهم هيمما
مستفخة وهم يصيحون هدير فاقول لهم : ذن ومتى سافر؟

وعندئذ تطول لوجوه الثلاثة قليلا تقول في نفس واحد : نكره ان
شاء الله

تستدعى اصوات تغير السيارة كل أهالي «ماجل» وتستدعى انتباههم
وبعصب «مسعود عوض» غصبا شديدا . ترى ما هذه الطريقة لاختلاله
الطريق ؟

وعندما تنحدر القوافل من الصباب والنحود تنحد من « ناحل » آخر مرحلة لها قبل أن نأخذ في قطع المرحلة الطويلة في الأراضي الجرداء المملوءة بعدم احتمال . وفي « ناحل » يلتقي المسافر بالقوافل العائدة من « الحديد » وهذه القرية التي تعيش من هذه الحركة التجارية هي قرية مصيافة كريمة فإن الجملة بمجرد دخولهم في مراكبهم يبيعون انهم في منتصف الطريق ويراطون عصيهم في أخذها بقطع من الحبال وينزلون عنها أحبالها ويتركون كل شيء في مكانه كما لو كان هذا الطريق قد أصبح « ممسرة » (وهو الحار) ويدهنون إلى المقاهي حيث يأكلون مسقا من الأرز ولحم الصان ويدحسون في رحيالات ويشربون فواحين من « قشر » الس .

وفي الحق أنه يسر أن تمر سيارة من هذه الجهة وفي مساء سيرنا في الطريق الذي يفرج بين الدور الوائنة والأكوام الصغيرة محمل بالارتطام عند كل مسبح نكيس من « كياس الس » والاصطدام بالابل التي عند اقتراب اسيارة منها يأخذ منها الدرع كل ما حدوتها واقفعا على أقدامها كما أنها أشاح بحمسة هائلة وتقع « ناحل » على حدود نهامة على سفح الجبل وللوصول إليها من الحديد يسير المسافر بمحاذاة البحر مسافة طويلة مارا بعدة واحات صغيرة ملائ « بنجيل » وشجار الدوم (وهي بحيل حري تنمو على شريط رفيع من الأرض وبحيل للرائي أنها تنبت من مياه البحر الأحمر) ثم سمط بعد ذلك نحو الشرق ويقطع المهن الرمل الذي تنتشر عليه بعض الأعشاب القصيرة ثم نعلو كثبان الرمل شيئا فشيئا ثم ندوا كثيرا ارتفاعا عندما تقترب من « ناحل » وسرعان ما نجد بعد هذه القرية أول ساحة من ساحات التلال ثم نلاحظ بعد ذلك أولى التحصينات .

وتنتدى لنين الحصراء الحقيقية « الحبال » ولكن ما عسى تكون قيمة نهامة الجرداء اذ ما قيست بهذه الحصان لعبة الحصنة الزاهرة وأى شأن لسكان تلك الأرض القاحلة مع سكان الحبال الخضراء البابعة ؟ أما سكان نهامة فهم من جنس قلة عراقية وصماء ، يدينون بذهب اسلامي آخر غير مذهب النجيين سكان الحبال وكل البلاد المحفصة قد فتحت من عهد قريب د

احتلت جيوش صعداء في سنة ١٩٢٥ مدينة الحديد ومهلها حتى بلدة « ميدي » وفي سنة ١٩٢٩ تمكنت من احصاع قبائل الزرايين وأخذت من أساء رؤسائها رهائن . وموطن اليمين إنما هو في هذه الحال الحصنة لمصلحة المعينة المال حتى أن ملكهم لم يحاول قط الذهاب لرؤية البحر أو زيارة لمدين الساحية ولم ير ضرورة لآبار الصارت الممتدة على سواحل اليمن

ما أوديان المؤدية إلى الحدود وعلى الأحص الوديان التي يحترقها الطريق المؤدى إلى العاصمة فلها مرعان ما تبدو مخلاء وتظهر طبيعة البلاد على حقيقتها وتتم عما بها من ثروة زراعية هائلة وحير و فير وأول ما يدخل الإنسان بين هذه الجود يرى حصصا شاهق السيار شديد موق أحد التلال يد الوادي سداً هو حصن « الجبل » الذي يلمب بناية المقام من الحجارة الخراء وبنيوهج عند اقتراب الغروب وعندما يقمر القبل هذا الوادي السعيد

ويبدو لفرق بين هذه المساحات الحلبية التي تزداد ارتفاعا وصلابة ثم يتقدم الإنسان بعد ذلك في لرمال بين حشائش وأحراش ورم ليس بها من الأشجار غير السح الساسق ولكمه مرعان ما تقع عيباه على الوديان الأنيقة الكثيرة والحصرة البانعة والمياه الحاربة في كل مكان التي تحف من حدة تلك المدطر ارمية أصفراء ولا تبت أن تظهر من فوق لصحور البانعة نية عالية قاسية كلها معلقة كأنها الحصون التي لها لون الجبل كما تظهر رصعة وعرة قدت من الصخر تنفتح فيها بعض الطرق والمناهد حتى ليحدر للرأى أنها من الكوات التي تطلق منها الأسلحة الدارة في بعض القلاع ما هذه إلا بيوت لها ذلك اللون الحمرى اعظم تبدو كأنها أبراج بحرس أو حصون للدفاع حتى ليحسب الإنسان قد شيدوها شعب من المردة والجبل لحراسة مدخل محراب هيكل قدسى عجيب .

ويسير الإنسان في هذه الامية العائمة الصماء التي تشرق على الطريق وعندما تغرب الشمس يرخي الليل سدوله يحيل أنها تنفتح عيونها القلقة الحائرة المديمة الثقة التي تتبع المسافرين بتفرائها وترقبه أنى سار .

على أن القرى في بطون الوديان أكثر لساكنة وأكثر سكانا وعمرا فافقرية
« عبال » التي تقع فيها لقضاء لينتسا هي أشبه شيء بقرية من القرى الأفريقية
منها إلى قرية اسبوية وكذلك أهلها يريدون نشرتهم بثمرات عن لون مشرق
من رأيهم من سكان البلاد ويتكلم سكانها لغة عامية لم يفهمها أحد من رجالنا
ويسير أطفالها في الطريق حفاة الاقدام . وأجل مساكن « عبال » هو « عريش »
له حدران حشة حافة صليت من الداخل بالحير وسقفته بالقش ويقدم في يناير
ثلاثة رحلات في الليلة الواحدة للمسافرين الذين يضطرون للمبيت في القرية
ولكنها بمجرد أن ترض أرضيته قليل من مسائل قائل للحشرات لا تلبث أن
تشهد والدهشة أحدهم كل واحد رجلا مربعا خاضعا غير متفهم خيوش
جراحة من الهوام لصميرة تنساق فوق الحدران وعند برش من هذه المسائل
على الحدران سرعان ما يسود لون القوائم والأغصان التي يستند عليها قش
السقف وهذا ما يدعوا عند القادر إلى حمل سريري السفرى الصغير إلى الهواء
الطابق بعد أن يغرس في الأرض ساريتين يصب عليهما اسككة (الداموسية)
وفي وسط هذا الظلام الدامس يفرح مصحفي الألبس في القضاء وسدو
كأنه أحد الأضرحة التي يقيم حولها التجميرون لسور والاعلام الصغيرة الخضراء
والحمراء والبضاء . قبل ترى يحدث شيء عندما أستيقظ في الصباح أحد
على حين انفتحة حولي جماعة من البدو يصون ويتركون حول سريري وعندما
يروى أنهم من دراني تأخذهم الدهشة من هذا البعث الزائف وينشرون
في الأرض أبشروا هم بهذه المعجزة الجديدة ؟

نما الآن فلاتوجد إلا السكالات الصالحة هي التي تقترب من دالة لتفحصني
ولم يخرج الأهل بعد من أكوأخهم الخفية وعندما يخرجون في الطرق يرى
رجالا نصف عراة كما ترى النساء قدماتهن المخروطة الشكل يتحركن أمام
اليران الموقدة وسمع من حولي أصوات مسكرة وصراحات غير مفهومة .
تري لم هذه الكثرة في العمارات في أحاديث أهل « عبال » ؟

أما رجالي فلا يعلم إلا الله أين ذهبوا وإنما شاهدنا منظرنا محزنا إذ تقع
مشادة عيفة بين امرئين من لواء القرية وهما أسمع صراحات تصم لآذان

وعبارات متقطعة تنتهي كل منها بعلامة من علامات الاستفهام ولا تلبث هذه الأصوات أن ترتفع وهذه العبرات أن تملأ علواً كبيراً ويظهر فيها التهديد والوعيد ترى هل تتحضر المتخصصتان آخر الأمر بمافوق رأسيهما لتفحص كل منها بشعر الأخرى ؟

ولكن هاهي ذي المشاحرة تهدأ على حين غفلة وتنتهي المناقشات ثم لا تلبث القرية أن يسودها صمت عميق ونحرس كل الألسنة فلا نسمع إلا غناء العراصير وقيق الصندع يتردد من كل الاتجاهات ثم نسمع صاح الكلاب ثم استغاثة لسان ثم لا تلبث أن نرى سحرة المل تسير من خلف السور وعندئذ ترتفع الأصوات من جديد حول القافلة لعائدة ثم يسود الصمت مرة ثانية ويقطع هذا السكون نكاه أحد الأمثال وهو الصوت البشري الوحيد الذي يمكن فهمه وتفسيره بين أصوات هذه الخلائق الخائفة .



كان طريق صبيحنا أقدم المؤدى إلى « عدال » يسير في اتجاه « الخبيطة » وكان يقطع المسافرون إلى متون النبال في صهودهم في جمال « مباحة » أما الطريق الجديد فهو أطول فديلاً ولكن من الممكن أن تسير فيه السيارات والعربات ووسائل النقل الميكانيكية ولكن بما لاشك فيه أنه مما يحزن حقاً أن يضطر الإنسان إلى عدم دخول مدينة « مباحة » ذات لشهرة العظيمة والمناظر الخلابة ولكن مما يهون ذلك احتساب دخول سوق « الخبيس » الذي هو الحل المختار للبراغيث البمبية . على أن هذا الطريق يحتوى أيضاً على أشياء فائقة حداثة تضر النفس ومناظر تبهير البصار على أنه لا يخلو من بعض المصايفات وفي كل حقل من هذه الحقول تظهر تكعيبات العشب في صفوف منتظمة طويلة لا آخرها يقف الحراس من فوقها ينفون من أن الآخر يصيحاتهم المرعبة لا يباد الطيور والعصافير الشرهة عنها

ويجد في مدينة « العميد » جبهة كبيرة من الخلائق الصاحبة قد اجتمعت بين دورها الصغيرة المشيدة بالأحجار الخشنة . إنه يوم السوق وفيه يأتي

وحال قائل المنطقة للقائصة على نفسه و... عرهم لما يحتجون إليه من ملح وكبر وسين وأخذية وقوط وما إلى ذلك . وإذا ما سر الإنسان بعد ذلك يجد نفسه قد دخل في وادع ذي ررع . يكون مسيرنا فيه مدعاة لهرب قبيلة صعيدية من القردة عندما تشعر بأنها قد أصبحت في مأمن من فوق الحبل تسمعنا صرخاتها الغاصة كل ما نكبه من حقد وكرهه المديدة الميكابية . وقد صاقت سيارتها في طرق المين كثيرا من ... من جملة ورعه وعدم ومساكين وبدو رحاله وفلاحين وتجار لم نغير احد منهم . ما استياءه ولم يفتح فيه بكلمة احتجاج سوى القردة « الماككي » التي لمكن ودي « ايمية » . والمناطق التي لمكنها تلك الوحوش الهائجة يطف مسحها ويحمل مناظرها ما يست فيها من ثمر عجيب يدل له « أصبح مرسم » . يرى هل يوجد سائله شكل ادعى للصحك والسحرنة من هذا السات . ن له لمارع عفيما جذورا لشجرة هائلة ذات ساق عالية ومكن هذا الخراج ... عدم يدور حتى أنه بعد ارتفاع متر واحد يقض ويتصل بالأمهر حجمه وتحمل هذه شجرة المحروطة الشكل قليلا من الأغصان الدقيقة المارة من الأوراق في تنشر فوقها زهرات صغيرة حمراء تحملها أوراق دفتة .

ها نحن اولاء . نرى على الطريق من ناحية الوادي الأخرى شبة يتصاعد منه الدخان له ريق يتقدم نحونا نرى ما هذا الذي نرى وما عسى أن يكون ؟ . به وبنا للهول سيارة أخرى وهي أول سيارة تقابلنا في سريقتنا بعد أن تركنا أرض عدد . ترى أياكون في استطاعتنا أن نعرف إلى أي جانب من جانبي الطريق يجب المنبر في الطريق ايمية ؟ حتى ولا مسعود عوض يعرف ذلك وها هو ذا عشي في منتصف الطريق وهو على استعداد ليعمل إلى هذه الناحية أو تلك حسب ما تقتضيه الظروف وها هو ذا السائق الآخر يحدو حدوده ويتقدم نحونا بسيارته الضخمة وهو أثناء مسيره يفتح في يوقها الغضب وحبون معنا متواصلا ومسعود هو الآخر لا يوتر يوق سيارته وبدو على وجه الملل والغضب ويكاد يتبر من الغيظ لأن سيارتين أصحضا على مسافة خمسين مترا من بعضهما ولكن ها نحن اولاء نرى السيارة الأخرى تنطوي على حين نفقة

وتعطف في داخل الحقول التي على أحد حاسي الطريق وهي تشرئب بمقدمتها إلى الأعلى ثم لا تدب إلا أن تعود سيرتها الأولى وبسأف صريقها بعد أن يكون قد مضينا في طريقنا بسلام .

وفي الظهر نصل إلى « حمام على » وهو المكان المشهور بمياهه المعدنية وبما أشبه فيه من الحمامات التي يقصدها الناس من كافة أنحاء اليمن في لفصل المناسب وتجمع مياه السبع في هذه المؤسسة التي هي ملى هائل طليت حدانه باللون الأبيض وتندو به أصحة تمام الوضوح . قانصخور السمره التي يذهب اليها المرضى بعد لاستخدام للاحتساء تحت الارض بقصد الاعتكاف قليلا في كهوفها القعدة المفجورة في الحبل كائنها حلال الحبل

بعد ذلك سير طو لاي ودين « الحرس » لاشي . الا لكسب مرحلة من المراحل ووقف مدقة من الطريق لان طريق لسيارات الى صعاء يسير في محاذة المرتفعات وقد وجد السعدون ليمفون كثيرا من المصاعب سد ستين في شق الصخور وقطعها وفي هذه المرحلة يصعب من الوقت ما لا يقل عما قضيناه في قطع باقي الطريق .

ويسير الطريق على حواف حال شاهقه تتخللها ديان يامة وتبدل على جوانبها قرى كثيرة بها ما آذن صغيرة نجمع فوق قممها ولم كان يسرها ان تقطع هذا الطريق ولم يصطر لارول عدة مرات من العربة لدفعها لان عجلائها كانت تدور « على نفسها » في الحصى والرمال دون أن تستطيع التقدم .

لكنها نحن أولاء بعد جهود مصيبة ومتاعب بلاقيها من الرمال المتراكمة ومن محرك سيارة نصر حيرا إلى راس مرسعاء ولعمري ان عظمة مسفار هذه المصائب الياقة لتسمى الانسان كل تعب وعناء . هذا هو ما يدعوا اليه الجيئين للافتحار والمباهة بحبالهم التي يعيشون فيها في ربيع أذى محبب والتي تحييمهم أرضها لطيفة الخصبة بكرم وسعاء فهم يروون حقولهم بجمع مياه الأمطار التي تنهمر فوق المنحدرات ويحيطونها بسدود صغيرة ويفتخرون من تلك الطسة المترعة بواسطة آبارهم المودحية ويحفرون لها صهاريج عظيمة تعود بالذاكرة إلى الاساطير القديمة التي يفتخر بها الري في هذه البلاد التي عرفت

في اليهود الماشقة على التاريخ كيف تبني سد « مارب » لشهير المقصع لطير .
ثم تتولى السحود بعد ذلك واحد بعد واحد في شكل محروطة لانهاية
لها تفصلها عن بعضها سلاسل جمال مخصصة ثم تظهر تدريجيا مائى اقوى
ياردة عالة في أول الامر ثم لانتلث أن تصير ثيقة راهره ويقال على الطريق
وفوق الجبال حلائق يكثر عددها كل تقدم في مسيرهم عبر المدينة وكلهم
يريدون قمعة من اصوف البني دي ارفع الكثير ورجل فائل يلسون
ملابس من خلود الماعز وينو يتعطون بالامهات
واخير اتي سفيح جبل « قمه » تظهر جساء الراهره - وورها اندى الكثير
وقصورها المشاهقة الاليفة وما آتيا لسين

صنعاء عرش اليمن^(١)

كان على الأجنبي في العصور الماضية إذا ما وصل إلى العاصمة اليمنية أن يرتفع نحو « باب الختل » دون غيره من أبواب المدينة الشمالية المفتوحة في سور صنعاء وعندما كان يدق على هذا الباب كانت تفتح إحدى الكوات الصغيرة وكان عليه أن يذكر أن يقدم بالحراس لوقفين من ورثتها عريضة يذكر فيها شيئاً عن شخصيته ويلتمس فيها الإذن بالدخول وكانت هذه العريضة تحمل إلى حاكم المدينة الذي كان بعد الاستماع إليها إما أن يسمح لهد الأجنبي بالثول في حصرتة لبيان الأسباب التي دعتة للحضور، وإما أن يأمر بإغلاق السكوة في وجهه بقسوة وحشوة وبدون شفقة ولا رحمة .

على أن اليميين أصبحوا مع مرور الزمن أكثر تسامحاً مع الأجانب ومع ذلك فقد كان هذا التقدم بطيئاً ففي عام ١٧٦١ وصل إلى سوار صنعاء المسيو فينوهر ورملاؤه أعضاء البعثة التي أرسلها ملك لدايبارك إلى بلاد العرب واضطروا للثول من فوق نواطعهم ودخول مدينة العلوين راحلين ولكن هذه المعاملة لقاسية المدلة قد أصبحت اليوم وقد عني الأهالي اليهود^(٢) دون غيرهم وقد فتحت أبواب المدينة كلها للدخول سوى الباب الموصل إلى القلعة وأقد كان دخولنا إلى المدينة من « باب اليمن » الذي هو أجمل وأهم أبواب صنعاء وهو كثير الحركة والحلة يعج دثماً بالدخيلين والخارجين وينتهي عنده طريق القوافل الكبير الذي يخترق من تعز و اب ويريم ودمار ومعبر — معظم الهضاب اليمنية الغنية المردحة ومنه يمر أناس من كل نوع هم شعب مختلف الأشكال والألوان من بدو ومن حصر ومن عساكر وحملات ومتعطلين

(١) يرتفع صنعاء عن سطح البحر مائتين وأربع مائة متر

(٢) بلاحد أن اليهود في اليمن يسلمون معاملة مرسية وفق الشريعة الشراعية ومملوكون

الشرعية المحمدية قد اوصت بأهل الكتاب عامة

ويعطى «دب اليمى» لمصور من رحين هاتين مطاق السور العظيم الذى
يحيط بالمدينة وقد شيد هندى الرحين^١ السلطان صلاح الدين لأيويا بأحجار
وردية وحصى «عراء» راحها هذه الآلة فى حملة الزاهية ويقال إن «اسلم
الموسقى» وجد من قديما «المد» الذى يكسب محركات تلك الشهرة العظيمة
و«ثروة» لأثره الكبيرة والذى أخذت منه هذه الأحجار. وهذا الباب
مصرعان جميلان حفرت عندهما نقوش جميلة أخذت لألوانها ولشكلها
استماعه أحد لوعوف فمهما طويلا لم يلبها وغصهما يستحقان من العناية
أد حرت لعدة أن يسمر يندى اللصوص الذين يصطلون متدسين بالسرفة
على جوانبها

وعند أن يدخل عتبة هذا الباب تصح فى قلب صدهاء وعندئذ تشعر أن
كل شيء فى هذه المدينة العظيمة قد صنع لأدهشا وتجيب أفكار دجيل
انسان عيش فى حلم من أحلام الطفولة لمعولة المأدبة وتعود بالذاكرة
إلى ملك الأيام لى كما لا يزال فيها متفلا بحيل مديته الخرافات والأساطير
الغريبة التى كانوا يقصون عليها تصعبا ويسهون له فى وصادف فى أن يعقد
أسوم جمع ما فى قصور غريبة حمة إلى دور مربعة كلف الأسفل عملت فى
زحرقته وتسميته يد عامر صاع من صامى الخوى إلى قباب جميلة وما كذا
رشيقة عدله بطول السماء إلى ميادين فسيحة الأرحاء استعمات فسية وأسواقا
وحادات إلى شوارع وممرات تلتصق من الأبنية كالحبات بدور المحمد معين
وبغير معنى معقول إلى جوانب صيقه سمعت منها رابع المطور واللوان
وبلا لا فيها يريق المعادن الثمينة والأحجار الكريمة. أليست هذه كلها
مناظر ألف ليلة وليلة ؟

وكذلك الجمهور الذى يتحول فى الطرقات فانه يحيل لبنا أنه خرج من
صفحات قصة من القصص الغريبة الشائقة ديمر فوق سهوات حصاد
«الخوف» لغريبة الاصلية أمراء عظام وحكام كبار يرتدون الملابس
الفضفاضة البيضاء وعلى أكافهم الكوفيات والشيلان الحصرأ أو الحراء

ومن ورائهم حراسهم وحشمهم وغلبتهم . كما أمر لواء مرقدة وندوات
سافرات عديدين حاكمت صعب من اليهود تدو منها صدورهن العارية
وموظفون من موظفي الدولة عمائم لست ، الكيرة يصحبهم خدمهم
يحملون لهم ارجلاب الامة حرقلة . وعمر رجل امثال دوو اوحوه
الزيتونية اش حنة ، هم ايضا مدحون ضد حرق مقومة شدت الى صدورهم في
أحرمة من الخلد سم يهود تحرق حشوم صدر اوحوه تدو عليهم علام الخرن
واعم وقد تدلت لهم بطولة حول سداعهم ثم مر كذلك رتل عبدة
مويلة من الابل والحيل ، احير وقنعار غير متسظمة من الغنم والماعز وغير
ذلك ، لا يحضيه عد

وهو يدحدث ايضا في اثناء سفر في بلاد مذهنة مثل هذه البلاد التي
يحين في التريخ فيها مرتعد عدم اذ لم يلاص سيره الخرافات التي يتتق
الاسنان ناشية ويرى مفاظر حال معدة ، قد حنت الى الانه من مرور
الزمن تحمله يشمره سف غرب سوي معه لاجساس نامة والخصى في لوص
ولعمري ان أهالي المدن لمي حي في رهوم وامع حرم بعضهم لبرقة
التي يسمونها « عرش اليمين » . ثم يؤسسها فحضان الذي عطي أكر نساء
يعرب للشعب العربي سمه ولعته ، وترجع حول صعاء للاسامير كما هو مقرر
لكل مدينة تعمر مساطيرها القديمة ومدينتها العائرة وتاريخها الماصي المجيد
ولما ارتفعت صعاء الى مرسة المدن الكبيرة ، فسحت عاصمة البلاد بعد
تدمير مدينة « مار » وتمرق شمل ال مساطات مدى التي عدم ميداناً
للحروب ومركزاً للسرعات التي احتدمت في تلك البلاد التي حمها ولكونها
أغنى نقاع الحرية العربية كلها كانت مشاراً لاطلاع الطامعين واحتذت اليها
اندر انقراة وانه انحين من كل صوب ومن كل بقعة من نقاع الارض .

واقدر كان الحصار لأحير الذي ضرب حول صعاء في أيام الاحيرة
شدت قريب العهد بعد ذلك تمة هي كان فيها الامام الحبي يعمل بكل
ما استطاع من جهد لتحليل وصسه من رثن الاستعمار لعثاني ويبدو
للناصر ان صعاء قد حنقت شكها القديم كاملا ذلك الشكل الذي كان

له في عهد الخلفاء العباسيين عدد ما كانت رائعة الجمال وكانت شعراؤها يتغنون بحمل حداثتها العناء ومياهها الحارة وبما فيها من المناهج والمناظر التي تنهر العيون وتأخذ بالآليات وكانوا يرون أنها فريدة في محاسنها لا مثيل لها في جمالها ولا يعرفها وتقدرها إلا من أبح لها دخولها والعيش في ربوعها . وفي الحق أن صعاء في حالتها الراهنة تعتبر مدينة تعيش على هامش الزمن شبيها شعب دكي متعفن قدير . ترى كم من السير قد تقضت على تشييد تلك المبنى لشاحمة المدهشة ؟ ترى هل نيت بالأمس أو سيت من ألف سنة ؟

لا أعلم لأحد بذلك ولا يعرفه إنسان شيئا عن مدارس المعمار التي اردت يوما ما في العربية السعيدة والتي انتفعت هذه الأشكال المهارية الأنيقة اسارعة الحمل . الزحارف التي تحير العقول والتي تقيت الى اليوم دون أن يأتي الزمن عليها أو ينال من حداثتها وهي مكان هذه القصور كانت قصور وقصور كانت لها نفس الموارنة وهما نفس الاسم ونفس هذا الخليط المعجب من الوفاء والشرفات والمثريات من مختلف الأشكال والمقاسات ونفس الزحارف التي تمت مصلة للدوق الفارسي الأنيق .

ترى هل من الممكن أن تكون هذه عاصمة بلاد يسكنها شعب من البدو ؟

إن من يتحدث عن البداوة في اليمن من المحتمل كثيرا أن يحيط بين العربية لسعيدة والعربيات الأخرى التي أعطت هجراتها الطبيعية لبلاد العرب هذا الاسم المفقوت الذي لا تحسد عليه أي اسم « صحراء العرب » إذ أن هذا لكل شيء من رجال أو مبان - أصول عميقة تامة في لأرض لأن ترتبها كثيرة الأنهار واسعة الثراء .

حقيقة توحيد بلاد اليمن بعض لقائيل البدوية الرحالة تعيش حبة الشرق على هامش ذلك البحر الرملي الكبير الذي يغشي تلك الصحراء الشاسعة التي لم تكتشف بعد ولم تعرف بواطنها والتي بي فيها - على ما ترويها الأساطير القديمة - أحد ملوك اليمن الأقدمين مدينة عظيمة شاهقة الديان

يقال لها « ارم ذات العمد » ولكن هل لبدو الشرق هؤلاء في أثر في حياة البلاد الاقتصادية وهل يندح لون صمم الحجاب عند ما يقدر الناس تعداد الشعب اليمني بخمسة ملايين من الانفس ؟

ليس الامام يحيى بحاجة لتقليد رميله ابن سعود الذي ينشئ « مستعمرات الاحصان » لتحقيق مشروعه العتيد الذي يرمي الى تثبيت الرعاة من البدو في الارض لان اليمنيين قد نزلوا من آلاف السنين مساكنهم وزرعوا حقولهم ولا اثر للبداءة في اليمن لان الحماله ورعاة الابل انفسهم الذين يؤمنون بضرورة التنقل من منطقة الى منطقة تتكون مهم كتلة من اناس لهم حركة لا تهدأ وعادات من الممكن اعتبارها من عادات الحضر لان مراحلهم تنتهي دائماً في الاوساط المكونة منهم في نهاية بقعهم ليقيم في داخل طاق من لقش ولكهم في الهضاب حيث يشد البرد في الليل ، واولون و « ما كر أعادت لراحة القوافل هي عرف كبيرة واسعة يلحق بكل منها مخزن واسفل يلحق اليها الخلة انهم اني يشاركونها فيها الذهب والحشرات .

وتصحي صعد من حرمتها واعتبارها وجمالها وبمطامير كرامة بوصفها مدينة مقدسة بحريات كثيرة تتوفر في اوساط يمنية أخرى فهنا نجد الحياة الاجتماعية أشد حموة وأكثر عبوساً - على الأقل في مظاهرها الخارجية - عما في أية مدينة أخرى . ترى أين ذهبت عريضة جماهير الحديدة وصيحاتهم ؟ (ولكن الحديدة كما هو معلوم مدينة أفسدها وجود المشركين بها .

ويوجد على مقربة من « باب اليمن » الذي سلكناه في دخولنا الى العاصمة اليمنية شارع أطلق عليه اسم « شارع عمر دحرج » لان دوره كان يسمع فيها في العهد التركي غناء « العوالم » الخليل وكانت تشهد رقص « اعوازي » المتهتك وكان يفشاها دائماً جمهور كبير من حشالة الناس حيث يشربون ويلهون ويطربون ويرتكبون المحرمات والآثام على أن تلك « الرحرة » قد سكنت اليوم لان الشريعة التي تحرم الهوى والرقص والغناء وشرب الخمر وغير ذلك من المنكرات تنعد بكل حزم وشدة في المدينة التي يسكنها الامام يحيى الذي هو « أمير المؤمنين » - والتي يراقب فيها أئمة

الزيدية الأربعة مرافقة شديدة كل مظاهر الحياة الاجتماعية

وقد اجتمعت «شبه الاستعمار التركي حتى بعض مشارب لقهوة التي كان يقضي الناس فيها معظم أوقاتهم في الجو وهمر وتصبح لأن أهل صه» في أحسن حال إذ حصلوا زواجرهم ونهروا نفوسهم طمعا في دخول الحمة التي وعدهم بها بنهم ولتى فيها ما تشبیه الأفسس ويلد الأعيى ومع ذلك فإن طرقات صعاء لا تزال كثيرة الحركة والصوماء ولا سيما الشوارع الرئيسية وتكون صعاء من عده أحياء تدحل كل حين دائرة كبيرة من الأسوار وتقيم بها يسها «سوار حرى حتى لسدو كاتها حرائر متعقة بإحكام في إحدى المدرعات وفيها «سوق لعرب» وهو أشبه شىء بالحداثى العامة المسكونة وقد شيد الأتراك هذا الحى (١) في أيام حكمهم لبلاد كما يوجد في طرف المدينة امرى «حى اليهود» والسكن «المدة» وهى بلدة لعربية القديمة هى دائما هم الأحياء وأكثرها سكان وأعظمها حركة فصبها الكثير من القصور الخيلة والماسحذ الثاهقه والخمات العامة ولصهارج والسوق الفن الذى تعرض في دكا كبه الصغيرة الى تفتح كافواه لافران على طارات الصيقة كل ما تنتجه أو تستورده «العربية السميدة» من الخارج.

رلى حاسب «المدينة» حى آخريمال له حى «المتوكل» يقيم فيها الملك والى الحاسب الآخر توحيد القلمة وهى قوية مبنية لسيان لايدري انماطرايسها اذا كانت شيدت للذئاع عن المدينة أو امهيدبدها ولكن نرى أن يستطيع أهل صعاء أن يجتمعوا اذا ما أرادوا التحدث أو لسمرا

انهم يجتمعون في «المفرح» الذى لا بد من وجوده والذى لا عى عنه في الدار النبوية على أن بيوت الأعيان وعنية لقوم تحتوى على «مفرحين» أحدهما في الحديقة تظلل اشجار المانجو والزمان وامامه البامورة النجمة تشرب المياه ولثانى في اعلى انقصر «المفرح» هو مصبح فتحت فيه كوات وكواويل متعددة في حدراته وارييت حوا أمة برحارف بارزة من الحص وبه صعان

(١) ليس الأتراك هم الذين شيدوه وإنما عمروه منذ مسكونه

حضان من التوافد احدهما فوق الآخر فالعليا وهي كعيون الميا معلقة بالواح رقيقة من ارحام أو من اللور يعد من حلاها وقت الظهيرة نور ضعيف .
وأما أرض « المعراج » فتفرش ببسط شرقية رابية الألوان نصف حولها وسائد وثيرة مجلس عليها رب الدار وحوله ضيوفه على الطريقة التركية وتقوم في وسطه الترحية الفخمة المرقشة ويقصى الصناعيون في الحديث والسر ساعاب صيلة وهم يدخنون ويصنعون « القات » ويصقون فيما بين ذلك من آن لآخر في ماصق معدية صغيرة وهم في نس وبهجة والانشراح ويطلقون في أحاديثهم على الاحداث لسياسة العالمية التي يتلقون ساءها من الجرائد لعربة ابي نمبر في مصر وفلسطين الشام كما يتحدثون أحيانا في الشعر والأدب وما الى ذلك .

وفي حرج مرققات السوق الصاحبة لا تسمع أصوات صمغاء ولا يظهر لها أثر على المدينة كلها تغمرها والسياح الساكر قفظة بكرات لا تار لال لكل دار بمسحة حدقه وكان حقيقة نثر روي منها ونقف على حافة كل شرفة ككسولة بهجة روح وتعذر في طريق منوية بطول عند ما يكون المياه اميدة العور وتزمن من عني ومن أسفل القرب الحلبية الصخرة تفيض بالمياه وفي المساء يرتفع عواء الكلاب لصالة وساحب لأنه يوحد على مقربة من « لقصر الماسكي » في شارع فسيح تكاد يكون لانباعه وقصره ميدانا . سوق النجم وفيه تتجمع كل كلاب المدينة التي تحمي الليل حوشها الطويل وساحبها المتداهل ولطاردة هذه الكلاب حتى الكلاب أخرى لا تمنع ولكنها تعض اذا لم تربط بالسلاسل .

ولا يسمع للجمهور صوت الا في أيام رمضان عند ما يعلن مديع القدمة انتهاء الصيام وفي ثناء الحملات الدينية والعسكرية التي تقدم في يوم الجمعة فانه يتحمس ويغلا الطرقات نشاطا وحركة وفي غير ذلك يسود المدينة صمت عظيم وفي حلال هذا الصمت ترى النساء يحضرن في سكوت وقار داخل براقعهن وحجبهن كانهن الاشباح لأن الرقع المني لا يندس في شيء ذلك الرقع الشعاع الذي كان نساء القاهرة حتى سنوات قليلة تصعه على وجوههن وانما

هو قبح كسيف كل لكثرة لا يستطيع النظر أن يعد من حلاله أو يتكهن
عما وراءه .

ويدو أن نساء صعاء حيلات ورشقات ويحب أن تعرف أنى لا أقول
ذلك عن غير لاهن بمصير في الطرقات والشوارع في المدن اتميه ولا يمكن
أن يراه من حدس له أن يتجسبن اذا شاء ان ترى الواحدة منهم كاه كومة
صغيرة من الملابس الممعدة الالوان تمشي على قدمها بين الناس هداما سالت
عن تلك الكومة المتحركة قيل لك انها امرأة ولا شيء أكثر من ذلك وكل
امرأة بحية تحمل معها في سيرها سر ستمها ومر وحها وسر حصمها ومر
عمرها ولا يستطيع الانسان أن يعرف كيف تتبين عيوبها الضيق من حلال
هذه اوراق الكثيفة

ومن المؤكد أن اتميت لمن مترمت بهذا لرى شهن في ذلك شرف
السديتات اللاتي كن في القرن السابع يلبس اوجوه المستعرة اذا كان يحدث
أن يقدر الرجل روحته أو افته واحتة في الطريق دون أن يستطيع التعرف
عليها أو تمييزها من سيرها ويدو بفعا أن نساء هن في « الحريم » لا يخرجن
كثيرا اذ لدى كل منهن في مملكتها الصغيرة لكثير من المشاعر ويكفى أن
يعرف الانسان ما يلزمهن من الوقت ومن لصير للتعصب بالحياء ورسم وشي
رميق على وجوههن وذراعهن ويدين وقدامهن فضلا من مشاسهن المبرلية
الآخري .

ملك العربيه السعيدة

في الصباح الباكر ولما ترسل الشمس حيولها الذهبية الأولى يدق ناي
حمدي من عساكر الامام دقا متو صلا . ترى من تطارق ومدا يريد مي
في هذه الساعة المبكرة !

ايه الامام يرسل نعام الافشار الى صف من صيوفه مع حمدي من حدوده !
ومما يلاحظ أن « السباحة » أمر محمول تمام الحمل في لملاذ النجدة (ورما
نصوب على قدرى تصديق مثل هذا القول ومع ذلك فإنه لا تزال توحى في
العام بلاد نحو من هيت تصكر في اسحلاب من تحب اليها بوعود معسولة
ومعريات كاذبة لكي تحب اليها اسمر ونسكى نحمل سفرهم كثير بكلفة
والنفقات) وذلك لأن من نحصل من الامام نجوى على صريح بريرة ممكته
صحيح « صيف الامام » وفي هذا فوائد كثيرة وميرات لاستنهاض ولو أن
فيه أيضا بعض المتاعب التي ما كنا لنقيم لها ورنالوا لم يكن من نحون
أن يصعوا نومهم في كل شيء وأن يفعلوا دائما كل ما يشهون .

« صياقة » الملك النجوى محسوسة على الأخص في المدينة التي يقيم
هو فيها لأنى مما بقيت في سمعاء سوف . في عسكري فقط ظلي الصبا باسم
الغفر (يراد في كل صباح يحمل الى مايسمونه في روسيا الشيوعية « البايوك »
وهو « الحراية » عينا وتكون هذه الحراية من ثلاثة رغبة من تجبر
وقطعه من لحم الصان وضع يفضات صغيرة « ورديّة » حمراء ملائي بالزبد
الماخوذ من لبن الماعز وبعض الخضر وقليل من الزيت ولبن والبن والمأكلة
يا الله ! ما أكرم هذا الملك وما أعظم سجنائه ! ومع ذلك فعلمنا شوهوا
مسميته في المارح وداعوا عنه ظمنا أنه أحمل انسان على وجه البسيطة .
وحنى في « المقارح » التي تكثر فيها الأحاديث وتنسبونها للألسنة والى

هي أشبه شيء بالصالحات الأوروبية لا يسمع إلا من الأحداث وقاصيص غريبة لا يصدقها العقل إلا أن أعظم أحياء يذره الإمام عليه السلام يصح موضوعاً لتفككه والتفكير والاحتياط في ذلك مستقيمة والو در كثيرة . ترى هل حق ما يقال من أن موظفيه الذين يعملون في سلك لفقود من اليهود المحكوم عليهم والذين وقف سعيد العقوبة عليهم ومن الممكن قصصهم منهم عندما يبنو منهم أقل شيء قريب ؟

ولا يخرج معاصم سلك لفقود في اليمن إلا لعملة النحاسية^(١) الصغيرة لأن الريالات الفضية الصنعة المفضولة عليها صورة « مار » « بيرز » كما استورد من مدينة ريس مع عملة سنة ١٧٨٠ . عندما أصبح الحاجة منه إلى سلك لفقود جديده يسلم الامم إلى القائمين بأعمال در سلك لفقود كمية من « ديس » ويرمهم بأن يحضروا له ما يباري ورثها من عملة اسمها « ديس » وهي عملة قيمتها واحد على أربعين من ريال ويرفد الامم عملة الورق « ديس » وعدية وقد سمى « ديس » وهو نصف بعض مستخدمه لأنه « ديس » بعض النقشات ويهدده بأشد أنواع العقاب إذا لم يقم بردها .

وسب في حاجة في تكرار القول بأن هذه كلها حكايات تدفعه وذن كل ما يداع من استفسات والمخاضات عن حياة الامم يحيى من عهد حميد الدين وعن عاداته وأحواله الخاصة وشهوته لا يمكن بحال أن يقص من قيمة هذا الملك العظيم ومن مقدراته العريضة ومن عمق ربة ذلك الرجل الذي استرد لامة الزيدية مركزها المفقود وتليمن استقلاله الصانع والذي يسيطر شخصيه لقوية على الحياة السياسية والاجتماعية في « العربية السعيدة »

ومن الغريب أن صحافة البلاد العربية الأخرى التي أصبحت على اتصال مستمر بالمدينة الغربية والتي تتطور فيها الامسكار تطوراً سريعاً — يلد لها أن تسخر في بعض الاحيان من امام صنعاء ولو أنها تحد أن اليمن الذي يشه في نظرها

(١) المروف أن دار الضرب في اليمن خرج جميع أنواع العملة الفضية والذهبية ولا يلات إلا أن الريالات التي تخرجها قلبية .

حرفات القرون الوسطى حدير لكثير من الاعتبار والاحلال لانه لا يوجد
في الوقت الحاضر بلد عربي آخر يستطيع أن يفخر بأنه يتمتع بدرجة مماثل
درجته في الاستقلال ولأنه وهو محتس في عزلته التي تحمي ايمان الشعب
ونصون عادته وتقاليده الفاتنة يصر على رفض إقامة علاقات دبلوماسية
أو قنصلية مع الدول الأخرى وقبول الممثلين الأجانب وهو مع ذلك حر
مطلق من كل نفوذ سياسي أي كان من أية نوعية اقتصادية مهما كانت صاالتها .

وعندما ولد الامام يحيى في سنة ١٨٦٩ كانت الامامة زيدية مختار محنة
من اعظم المحن وتبرها اسوداياتها لان الاستثمار التركي في اليمن كان قد
انقضى ومصب عليه ٢٣٩ سنة ضد الطريقة المكررة التي ازلها « المؤيد »
نصاكر السلطان علي بن لدولة الجدية لم تهتم في تلك الفترة بمساعدة المدى
شعوية مركزها ان تحبس حواملها لانه قد تولى الحكم فيها بعد الأئمة الاوائل
الذين كانوا ارحالا عقلاء واسل اثمة آخرون كانوا بحيرة صعد الفوس
واشر راقصة تصوب ولذلك سرعان ما صعدت سطوتهم وسقطت هيبتهم
وهت في بلاد لثورت مختلفة حتى ازعجتها ايجا اراج حتى ر مدينة
صعد بعضها قد انقسمت شيئا وخرابا أحدث نقابل بعضها بعضا هدف
وفي غير هوانه وكان بعض يسجد في بعض الاحيان على بعضها الآخر
رحل القائل الذين عاثوا في الارض فسادا هدموا أحد الأئمة الى انصار
عن سبقتهم وعن الامامة كما انه هذا حب للامامة بعض المحتالين والمشعوذين
في بعض الاقاليم التي رفضت الخضوع لاوامر الحكومة المركزية

بعد ذلك تولى عرش اليمن محمد بن يحيى الذي تولى ولس في الديار المصرية
وكان كثير الاعجاب بالانراك ولذلك طلب اليهم العودة الى اليمن ولكن
عندما دخل لالاف والحشائنة رحل الدين استحصروهم في صعد هاج الشعب
ليمن واشتد عصه فارتكب الكثير من اعمال البغ والدماء
اسهارا وغرا العاصمة وهدمها على من فيها وقتل الامام شر قتله وبذلك سقطت
البلاد في الفوضى وعم الفساد وبعد ذلك قام شيخ من افراد اسرة « الحيمي »
وسم نفسه سيدا على صعد كما قام غيره من الزعماء والرؤساء باشاء حكومات

مستقلة في مختلف الاقاليم واشتد الصراع بين رجال انقضاء وداع السلب والنهب وانتشرت المدايح في كل مكان وفي عام ١٨٧١ نزلت حملة تركية جديدة في نهامه وسارت نحو العاصمة وعدتد قام وفد من اعيان البلاد ووجهائها لاستقبالها في « مساحه » واعين لها استسلام صحاء وكافة بلاد لمصبة اليمية ولذلك انسحب الرؤساء الزيديون الى الاقاليم لشمالية حيث احتفظوا لانفسهم عظمى لسيط من مظاهر السلطة على الاهلى وكاتب سلطة دينية محه وبذلك استقر الاستعمار التركي في اليمن مرة ثانية .

في ذلك الوقت كان لاهم يحيى يناع من اعمد سدين اثنين وكان يعيش في حريم نبيه محمد حميد الدين وعند وصوله ترك حل محمد بن لاده ، بساءه وثورته على صهور لابل وانتقل به الى « دجلة عدر » وكان منسب الى أسرة شريفة من الاسر العربية التي تمخر باسمها الى قاسية الزهر ، اسة الرسول والامام على بن أبي طالب .

وما وصل يحيى اصغير الى السن اى بدمجه ترك انهاء « الحرم » حتى تولى كسر المعصاة ومشاهير القصص والفقهاء امر تعليمه وثقيقه فملكه القصص الثريمة لاسلامية ولقبه « المله » العلوم والآداب وكان نوه يشرف نفسه على تعليمه كما كان يعلمه اصهور طرية وسرعان ما طهرت مواهبه العظيمة وأعجب الجميع بذكائه وعبقريته .

وقد حثت عادة اليهود حتى في عهد حصوع اليمن للاستعمار التركي على أن ينتحوا ، موكبه فالامام هو فمل كل شىء الرئيس الدينى الأعلى . هو مير المؤمنين وبين لقائه بعدة لقب « ماتوكل على الله » . وفي سنة ١٨٩٠ انسحب اليهود في مدينة « صعدة » على حدود المير امامهم الحدود في شخص محمد حميد الدين وأصبح به الأكر « يحيى » هو سيف الاسلام ، عدتد بذت الحركة التي كانت ترى انى ستعده سلطة الملوك الزيديين وتحرير البلاد من البير الاحسى فجمع محمد بعض الفرق العسكرية واحترق به حدود لمراكز التركية في حجة وعمران كما حاصر مدينة صحاء ولقد قامت على اثر تلك الحركة حركات أخرى مماثلة في أواخر القرن الماضى وقد انتهت انصرى

تلك الحركات للشباب «بحجي» لظاهر مواهبه لمظيمة كقائدنا من ورعهم عظيم حتى انه عندما توفي ولده في عام ١٩٠٤ أعيت نظار الزبود نحوه لتوليته الحكم في البلاد بعد انه اذ كانت تتوافر فيه كافة المزايا وكل ما تنطسبه امامة الزيديين من الشروط .

والامامة كما قلت فيه سبق لابورث وكان اعتلاء لعرش في قلب الاحياء برصه . فمراد الاسره المالكة ولو انه لا يوجد نظام مدكي خاص بهذا انشأ وعندما يخلو العرش يجمع رؤساء الزبود ويحدثون في انتخاب الامام ولشروط الواجب توافره في الامام أربعة عشر منها ان يكون شريفاً معصوماً من سل فاطمة وعلى ان يكون رجلاً نقياً ودقاً في قوله عادلاً مستقيماً ذكراً ذا عقل نية به يقود وسدطرة على الشعب وان يكون قد ثبت له بحرب كفه بأصل وحاكم حازم يقظ .

ولكن هذه الانتخابات ككل انتخابات أخرى في كل زمان ومكان تجري غالباً في أحوال شاذة مضطربة وفي تدرج الجبن حادث فريد وهو ان أحد المطالبين بالعرش وهو المهدي عماد (١) الذي صهر مجلس الرؤساء . المجتمعين لانتخاب الامام انه لا تتوافر فيه الاسعة شروط من الاربعة عشر الواجب به امرها في الامام قال لعمري من ثمة عن الشروط الأخرى فان في استطاعتي ان أقدم لكم ما يفي عنها وهذا وخرج سيفه من عنده . وعددئذ هم اتجاءه اماماً ولا يرى العاينون الزيدى ثامناً من الحاصل على الامامة «محمد السيف» .

ارتقى بحجي عرش ابيمن بدون حيلة ولا صومعة وعمدة افقة اجماعية وكان أول عمل قام به هو ان شهر الحرب على الانراك . هاجمهم بمساكره وأخذهم لرحف حتى بلغ نسبه رعدية صمء . ولم علم السلطان بذلك جرد بسرعة جيشاً كبيراً أرسله لمحارته وتذيبه ولكن العدو كثر الزيديين هاجمهم في ثناء سيره في الجبال وسروا فرقة التميميين ذكلاً . وهكذا أجليت صمء ودخلها «بحجي» بخمسة دحول الفاتحين ولكنه طرد منها مرة أخرى على

(١) انه هو ان هذا حدث لاحد الأئمة القوي خلافاً لهذا .

بد حملة تركية ثابتة لم تلبث أن اضطرت لاختلاء المدينة بعد قليل من الزمن بسبب نقص الأقوات فيها .

وقد نجح الامام يحيى في هذه الفرصة في الاستيلاء على كافة أنحاء الحصنة المتوسطة حتى مدينة «ب» ولكن كانت قد وصلت حملة تركية جديدة اشتمكت معها على مقرنة من «متاخ» في معركة عقيمة دامت ثلاثة أيام وثلاث ليال وأخيراً انتصرت جيوش السلطان التي كانت مسحة تليحافوياً ومدرية أحسن تدريب - على الجيوش النجبية التي كانت تتألف من رجال قتائل ومن بدو حفاة الأقدام كانوا لا يزالون يحتفظون بمبادئهم القديمة وهي أن يعرّسوا حول عمامتهم فتائل سادقهم القديمة، وكذلك انسحب الامام يحيى إلى قلعة عدر على أن هذه المرة لم تقف في عضده ولم توهم عريته إذ أنه أخذ يحارب البراة نصر وعناد ووقع بهم حصار فادح وعلى الأحص شديد جهوا حملات تذبذبة على فتائل الشمل وحاول انترك أن يقسموا بدلا منه مما ريدوا آخر ولكمهم لم ينجحوا وأخيراً اضطرت لباد العالي إلى صلح مع الـ ١٠٠٠ وأعطى معه اتفاق في سنة ١٩١٢ تركت للإدارة التركية عمقها مدينة صمداء ومعظم الاراضي الساحلية ، أما المناطق الأخرى فهي الأقاليم الزيدية فالبها ركت تحت إدارة الامام وسطته الدينية والإدارية وعبدت استبدل القادر تركي لدى كان معمولاً به في البلاد بالشريعة الإسلامية ووكّل مادرة القضاء مع طموح كان يعينهم الامام .

أما الامام يحيى فإنه بعد أن ضمن إعانة سبويه لشجوه ، كـ در موضعه من حراسة الدولة لعناية اتخذ لنفسه مقراً في حمير (١) حيث أخذ - شر سلطته وبشر نفوذه وينسج فيه في الاراضي التي جعلت له شقته في الاتفاق وفي العاصمة نفسها بينما كان عيوبه وجوانبيه يتوغدون في محبت عدن وفي حصر موت ومن ذلك الوقت أصبح الامام يحيى هو مالك الحقيقي والبلاد . وفي ثناء الحرب العظمى الأولى رفض الامام يحيى لشبه إياه كل جماعة

(١) غير مدينة في صالح صمداء على نحو سبويه كلهم .

اقترحها عليه الاحبير ورغبا من انه حارب الاتراك لغضاب استقلال بلاده
لا انه آثر ان تقطع رقبته ورقاب اولاده عن ان يحالف الكدر وعندما
وصبت تلك الحرب اورارها دخل صنعاء دون ان يجد أية مشقة أو أية
مقاومة من احد .

وهناك من يقولون في الوقت الحاضر بان الامام يحيى لا يفكر الا في جمع
الثروة وهذا ليس من الحق في شيء لان ارادته القوية ، مصيرته المأفدة محيط
بكل شيء في اليمن فهو يهتم بكل انسان وبكل شيء ، يقوم بامر اعمال الدولة
وعسا ينشأ من خلاف بين القائل حول ملكية عمر او رى حقيل من
حقول الاذرة .

ويحدث ان كثير من كمور الامام وما فيه من ذهب وفضة كما لو كانوا
يتحدثون عن كموز سايان ويقولون ان مدفوعة في حرائر سرية مسجورة
تحت الارض ، يسهر على حراستها حراس محصون ورجال اقوياء ، اشداء وامام
محمودة في بطون الحمال في كهوف معانة بحلاميد من الصخور طائلة وبعض
حيال اليميني في هذه الموصوعات بالكثير من الاحاديث والوصاف ، وما
لاشك فيه ان الامام يحيى يمتلك ثروته لا شيء ، ولكن ترى لمن يوزع هذه
الثروة ؟ هل يوزعها لنفسه أو لبلاده ؟

ان ايمن لم يحصل على كل الاراضي التي كانت له في يده عمره ومحمد عندما
كانت تمتد حدوده الى العسير شمالا والى عدن وحضر موت في حضرموت ولكن
ترى اي المنروعات بحول محاطر الامام يحيى ،

ليس في استطاعة محقق ان يقول شيئا في ذلك لان كل شيء يدعوا للظن
بانه بينهم في اوقت الحاضر ان بعض لايس الهدوء والاستقرار مسددة الدولة
ولكن العرب يشبهون الاباء اي تحري في بلادهم وتبقى حوافها حافة
سدة سبيل ثم تمتد على حين غفلة بالمباداة به خارقة في حده بحرها نصف
وشدة ونكتسح كل ملأى مرتقب .

جمعة ورمضان

« شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن
هدي للناس بينات من الهدى والفرقان
شهد هذا الشهر المصطفى »

لا يسع لسان الإنسان أن يعجب بالحكمة البالغة التي وسمها لشريعة
الاسلامية اذ فرضت على المسلمين أصح ابعادات في الحياة التي هم في شد الحاجة
اليها فان الصلاة التي فرضت عليهم اقامتها خمس مرات في اليوم ليس هي محض
عبادة بل هي أيضاً تمرين جسدي عظيم الفائدة هو شيء بالمرءات
الرياضية السويدية وهي وقاية وحمة لشعب يميل بطبيعته الى اركود وعدم
الحركة بسب حرارة البلاد التي يعيش فيها فعلا عن أن فرائض الوضوء، قبل
الصلاة والمشيير وحبس الاطعمة ووقا اعدامكاح وتحريم المشروبات لروحبة
كلها شيء حسيرة بالاعجب والاحترام ولوانه من اصعب اصعب اعمال
سهولة فمكرة صوم رمضان المفروض على المسلمين والذي يقب مدى شهر
كامل اعطاء الحياة الاسلامية رأساً على عقب ويقلل الى اقصى الحدود الحركة
والشاط في العمل اذ يصوم المسلمون من ابتداء الفجر حتى غروب الشمس
ويمتنعون عن الأكل والشرب وبهذه من المتمسكين من يتأخرون في الافطار
بعض الوقت عن الغروب للتمكين .

على أنهم منذ أن برزني أميل سمدولة حتى اللحظة التي يتبين فيها الحبيب
لابيض من الحبيب لاسود يطاح له كل شيء مما امتنع عليهم بالنهار وقد
يجب الا من لأول وهلة لمثل هذا الصيام وقد لا نستطيع ان نفهم القوائد
التي قد تعود على المسلم منه وقد اعتاد النيامون أن يناموا بعد صلاة الفجر
وأن لا يستيقظوا من نومهم الا في ساعات القيلولة وإنما في ثناء الليل
فيأكلون كما يشتهون وينحسون التسع في العرجيلات ويصنعون أوراق «انقات»

وفي كل يوم من هذه شهر رمضان تعلن طينقات مدافع «القصر» للشعب
التي بداية الصوم مبهتة ، حتى في قلب الليل في السحر تطلق هذه المدافع
لتدعو المسلمين لتسل الوجة الأخيرة « السحور » حتى لا يفتتقوا نور الفجر
وفي شهر منعام وشرب وان تدخل ، لمذوعة ، في شهر عقوس رمضان
ليعلمنا السبعة الخفية التي يرميها على تمسين ذلك السماء الذي يوحى قيام
الليل وصياد شهر الذي يوقف وسكاد يوقف فيه كل الأشغال العامة
ويغرض فيه الركون الرسمي على كل الأعمال .



اما يوم الجمعة الأخيرة من رمضان فيجتمع به حشد لا يحصى من طلبة المسجد
في ذلك اليوم يخرج الامام في موكب حاشي الى المسجد كبير لاداء الصلاة
وعندئذ يلقى نواب المدينة كلها وقد حلت اعادة دأب من عهد عباد
حدث مرة أن شهر رمضان القدر انثورة فرصة هذه الصلاة الجامعة
ودجوا مسجداً من عر منبها الى المسجد وقتوا الامام في اداء الصلاة
والسجود كبير الذي يؤدي به الامام هذه الصلاة في اداء صلاة
هو مسجد قديم عهد يقدر به شيد في ميلاد النبي يكبر كنيسته « مسجدين »
وراء كانت هذه الكنيسته قد حصفت الاسقف المبعوث من قبل
عمر بنك الاسكندرية لشهر حاشي الاصل في ربيع اعرسة الجديدة
ولهذا المسجد صحن كبير مرصوف بالحجارة سوداء وبجوفه صفوف متسقة
من الاعمدة العالية ذات الزخارف الابدعة تحيط به الكاهن وخاصة على
قدم المساواة للعلاء

والسدة في ايام جمهرة كبيرة فويته وكلهم من حل الرسول ويسمى كل
الاسقف ويلبسون فوق رؤوسهم عمامة كبرى مسديرة اشكل .
الامام وحده وهم وحدهم الذين لهم الحق في ان يتركوا صرماً من اشكال

(١) ليس هذا صحيح وانما ناس طابع صمدية في عهد ممدون حل التي اشهرتم
وسمى في ايام اولية ومن حاشي اما الكنيسته التي شاربه طعنها كنيسته القاس وهي لارال
معروفة في صمدية تاوره في الجانب الجنوبي الغربي من مدينة

الكبير الذي يلقون به رؤوسهم يتبدل حلف ظهورهم .
وعندما يحرج العربية التي يركبها المليك والتي يحركها حوادان مطبخان من
حيد « الخوف » العربية الأصيلة — من فناء « المقام » لتتوجه الى المسجد
الجامع تسمع أصوات حادة صاحبة من المورى تحيى عليها أصوات أخرى
تغائلها من رجال الحرس الذين يقعون فوق أبراج سور المدينة ويحلف بالعربة
كبار الموظفين وذوو المقامات وعلية القوم على حيادهم وعند كبير من الضباط
ولمساكر ولياس ويقودها حوذيان يلبس كل منهما عمامة حمراء كما يقف
رجلان مسلحان من رجال الحرس فوق المقعد الخلفي منها وفي داخلها
يجلس اثنان من الامراء يرتديان فحج الملاص في مواجهة الامام الذي يتصدر
شخصه الكريم في وسط المقعد .

وليس الامام الرسمى فيه بهجة وريثة نهر الانبار فالذهب تومد فوق
رقة قبعه وعي اكمامه لتتصامم وتوق عمامته الحصراء وحرامه الزرحدى
ورده فوق الاسلاك الزمعة التي توشى بها ازراره ويسطع تحت لاحجار
الكزعة التي توشى بها مقبضه حجرة . ويقدم الموكب رجاله لمكبته ،
حرس الملك المحلصين وهم يدور حول الاندان اقوياء ، كأن حشومهم قد
عدت من المحمودهم صفائر مولة تتبدل من رؤوسهم ويرتدون ما أرى
(قوط) بمسحصة اللون مصبوغة بالملح لتي تؤثر لونها الاررق على الجلد
ويبقى من الامر من . . . تمسك كن مصبب ديدى لبعض ويسيرون بخطى راقصة
سرلة وسشدون شيدهم المشجبة اللطيفة في مدح سيدهم الامام
ولاشادة بذكره .

وتردحهم الجماهير حول هؤلاء وهؤلاء ويتكاثر عددها حتى تعبر كأنها
البحر الزاخر ، هي حبيطة من كل شكل ومن كل لون ومن كل صف من
شيب وشبان وسين وسات واطفال غلابة منهم الجو حرارة وتطلق من
افواههم صيحات عالية هنا وهناك .

وقبل خروجك تدو لحبات المحببة بلقدم في مسطر فتدبح الاناب
فالوصفون والكسب العمويون هرولون ررافات ووحد ، وتجمعون

حيث يجلسون القرفصاء فوق حائط المور ويحتجم حولهم كل من له حاجة وكل صاحب مظنة يريد عزمها على الامام فتكتب المرتضى والاسترحامات على قصاصات من الورق ويرفع بعض المنظمين الصوت طالبا بظلاماتهم وشكاواهم وهم يوجهون نظراتهم حولهم ذات اليدين وذات الشمال كما لو كانوا يريدون ان يؤكد من عطف الشعب على ظلامتهم قبل ان يسالوا العبدالة من المليك ويصبح أحد الحدود قائلا : « لقد مضت ثلاثة اشهر لم يدفع لي مرتبي فهل هناك ظلم شدي من هذا ؟ » رجو به مولانا ان تعمل على نحو هذا المار . وفي مكان آخر يقف جمهور من رجال انقائل كلهم يرتدون ملابس من حدود الاعمام وقد جاءوا من بلادهم البعيدة يلتصقون بدخل المليك لانصافهم من عامل قريتهم الذي يسرق في استعمار سلطته وفي مكان آخر تقف امرأة محزنة تهمس في اذن الكاتب بشكاواها السرية الى غير ذلك مما لا يحصىه عد .

بعد ذلك يخرج الموكب المملوكي من « المقام » فيجتمع المنظمون معهم سمعهم وهم يصيحون ويصرخون في جوه عند كمر الحرس والفرسان وما يقترب هؤلاء منهم يقدعون باوراقهم التي تنصن شكاياتهم والتي ينتفضها الامام عليه بحديق عرب وهي متفائرة في الجو .

و يعود الموكب الى التالفة تالية بعد جولة الحامع للمودة الى « المقام » حيث يجري لاسمراس العسكرية لتفيد تحت حذرانه وتدخل امرته للملكية بين صاحبين من حياهير حتى تقف في وسط فناء ويبرل منها « الامام » بمساعدة الامراء . يجتمع حوله « الددة » الذي يحبون مامه لتقبيل ركبته ويقف الى جانب « السادة » المحال لامام الصفراء ولاد الامراء وكثلة كبيرة من الصبية الذين تراوح عمارهم بين السادسة والثانية عشر والذين بمجرد ان يتقدم الامام يسرعون الى تسليق عرته ويقدافعون بالمسكك للعلوس في اوسع مكان فيها وهو الذي يجلس فيه الخوذيان .

ولقد أتيج لي أن أحضر جولة العرض العسكرية الذي يجري آخر يوم جمعة من رمضان وان اشهد هذا العرض من مقصف صغير في دار الحكومة لا يبعد كثيرا عن المقصف الذي يجلس فيه الامام على مرتبي من شمه فوق مقعد

أحضر فنون قلبه، الأربع بعثت على حانية المصوغين من حب التناك
آيات من قرآن الكريم و قول شيء ريسه في هذا العرس هو فرقة الموسيقى
العسكرية وبما لاحظناه ان كل الآلات التي في أيدي رجالها ان هي الا طبول
وانواق ولا شيء غير ذلك . ويدير هذه الفرقة شيخ تركي متقدم في السن
يدين له البعض بشيدها الوطني المفرح . وعندما يعطف فرقة الموسيقى امام
فرقة الامام على الجانب الآخر من الطريق تتقدم فرقة من الخلد تحمل العلم
ايسى الاحمر اللون لدى رسم عليه سيف وحسن محوم بيضاء ثم تمر فرقة
عد اخرى في صفوف متساوية يتقدم في كل صف منهم اربعة من اخود ويسير
في المقدمة المشاة حاملين سادهم على كتفهم . من بينهم فرقة مدافع
المزليورات وفي اثرها المدفعية المكونة من بطارية ميدان ومن قسم من
بطارية حصة تحركها بعجل ويسوق هؤلاء اخود مساهمة ومعهم من لصايط
او صف اصايط الارك وعندهم كات فرق الجيش تمر امام الامام كانت
تؤدي له التحية على الطريقه الاعرفه

ومن الجرائم والمنازعة الجرم ان الجيش عني تلك آلات حربية ممية
دات قسمة تذكر وقد حدث في وقت ما ان اشترت حكومة لأوروبية أحداً
جمعها من مصادر عربية عن استعدادات حربية هائلة في تنم ولكن ليس
هناك ما يبرر ما قيل من هذا القليل فان اقتراع اخود يسير في الجيش على
لظام المتد (١) كما ان المصنع لدى أعدته الحكومة لصناعة حرموش
الساذق! التي هي الصناعة الحربية الوحيدة لم يرد في أعماله لمسيطة لطيفة
وكل ماشوه في الاوقات الاخيرة من الآلات الحربية لو ردة الى الجيش والتي
أفرغت من لسن في ثغر الخديدة لا يزيد على لعشرين أو ثلاثين دبابة من
المحتمل كثيراً أن يعمل استعمالها في قرب وقت نظراً لحالات الطرق البنية
لينة ولقلة مهارة السائقين الوطنيين وليس لدينا الا القليل د ما أردنا

(١) لاحظ ما أن الحكومة لينة رادر حشها بعد هذا زرع وحسب التعيد
اجباراً فاشأت جيش القطاع الوطني

التحدث عن الفرق الميكانيكية في الجيش اليمني .

لما اغتيران فقد أصبح يوم لا وجود له في اليمن ومن عدة سنوات
 أرسل الامام يحيى إلى اجهال من اشدن ليمس له سهو من لغيره في
 معاهده كما وصات طيرت في صنعاء ولاكن من سنفت حدى اطيارات
 الالمانية على حدى الطصات في صواحي العاصمة في بناء حملة طيران
 سر صية ميث الامام في سمع كلمة واحدة من احد عن غير في بلاده
 و مستخدم مبرره الذين تعمرو هذا الفن في انبيا في العمل في ادارة لبريد
 في بعض مصالح الحكومه لاجري

وليس الجيش اليمني كثير اعداد يتكون من عش وبق تضم كل منها
 ألف من الجنود وهؤلاء الذين يسكنون مدينه الحبش يسمى في
 وقت الحاجة يستدعى في حمل السلاح حبش حشاش حشاشي آخر يلقب عسكهم
 الجيش العربي وهو الحبش العربي يكون من رجال لقتال في
 كل قبيلة مفرقه مقدمه عدد من الحاديتناسب مع عدد رجاله وثمة لحد
 في اليمن يقوم على التطوع في صفوف الجيش على انه كما هو معهود
 لمدي الحياه وادار حدى ترك الحبش حشاش عسكهم يدفع للحكومه مساهمه
 من المال يراوح بين خمسين وثمانين من اربالات وارباني في مكانه عن
 يحتمه ما المرتب الذي يتقاضاه الحبش وهو ست ربات وحمه وعشرون
 كياتو حراما من لادره في لشهر لواحد معصا ليه اربعة اربعة في كل يوم
 وهذا المرتب ليس بالكثير ولكن على كل حال لا بأس به لان العمل
 المديين لا يكتسبون اكثر منه واما الموضوعون فاهم يتقاضون من الدولة
 رواتب صغيره لاهم يستطيعون تدبير حياتهم نايه مرقه

ويتسلم الجندى اليمني من حكومته السقيه والحرام ولا شيء غير ذلك
 اما الملابس فيجب أن يحصل عليها من راتبه الضئيل وعلى ما يريد ويشتهي
 ولا يتأثر الجنود اليمنيون (١) الالهالي المديين شيء الا بالسقيه والحرام

(١) قد جبل الجنود ليس خاص مرقه .

على أن إحدى سكتي تكون له هذه الصفة يجب على الأقل أن تكون له سرعة
نسب . على أن لا تكون سرعة كيمي اتفق بل لابد أن تكون من تلك السرعات
دات المسير خلال والتي تكون لها زرار ذهبية (١)

أما الموسيقى العسكرية في هذه المدينة التي تمتع فيها كل موسيقى أخرى
فيها تنبه . لا سمح ولا غل وهي تعرف باستمرار كدرة معب متقدم
في أسرى دقة فوق طابعه نظراً لصفه وعدم قدرته على المسير أو الوقوف
على قدميه وهذه الموسيقى هي الأوامر شات لايعلم إلا الله من أين أتت
ولا كيف ممكن . فسمي وعرفها هذه الآلات الموسيقية المحدودة التي في
منازل أيدي القرية اسمه وقد كنا سمع بين آن وأخر مرات الأشيد التي
أسهل لمجرة في شبه حدي لآلات أشعة

وتكثرت عبيد لأمه ، ولأدخال اسم ور على هذه هي دي اعرفه
ليدية الموسيقية تعرف مع الأشيد الإيطالية بينما عرفت حرفة من فرق
الحيث لمع ود ذلك يكون قد جمع حول مقصص الآلة جمع كبير من
الاعيان والزوار والموسم ورجع كل هؤلاء هؤلاء في أسلامك الذي
تجري فيه الاحتمالات .

(١) كل سكتي ما قبل قبل توحيد ملابس الجنود .

حاشية ص ١٥٥ مع . هام

من لاشه . حتى يفتح بها الاورى عند وضعه الى صعد . ان يفتح قلبه
حسب ما و ان يحصل لنفسه على مره ث من صوره . العلم لاسود لان المده من
في هذه البلاد لانه فيها شئ كثيره . منظره . منظره . لا يسمح لمديهم
نفس الارض و من . لا يؤدى . الاساطير . ولا يقم
لها وزنا .

وقد حصل من بعض الناس لاول في بلاد الاساطير و خوق على هيئهم
في امد العيش . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
في تر و ك . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
الى تهي . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
أولها من لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
ومزها عندما ترك الرقيق . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
الذى يده الى . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
التي يابسها الحال ؟

طه . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
الساعة العشرة . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
الحمود كان . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
هذه ساعة الم . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
الذى حصل عن . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
عنه رئيس . لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
نظم : لا رى حده . كس و ثوبه . من . حتى يحده
قصره في الساعة العاشرة .

ورعاً كان اختيار هذه الساعة المتأخرة هو السبب في الالتقاء على آتق
 الفوتوغرافية التي لها قيمة عظيمة في هذا البلد الذي لم يعرف عن مآظرة في
 الخارج الا اشياء القليل النادر وأحسب لو أن ذهبت للتشرف بالمشول بين
 يدي المليك في أية ساعة من ساعات النهار وحملت معي آتق الفوتوغرافية
 لالتقط بها بعض الصور في الوقت المناسب لكان الامام لحظ ذلك وبادرن
 بقوله ما أجل هذه الآلة . . . ياهاها وما هي الا ان يتبولها بيده حتى
 ياتي بها الى الارض فتصبح هشة . (١) وقد حدث هذا لبعض الزوار لان
 العقيدة الاسلامية تحرم تصوير الاشكال الآدمية على ان كبريين من المسلمين
 اصبحوا لا يقيمون لذلك وربما بدوا اسروا عن وجوههم عندما يقفون
 امام احدى المذصات ولكن هذا ليس رأيي اذ اذيع فانه حتى في لشوارع
 وطرقات يحب على الفوتوغرافي ان يستعمل الحُكْمَة والحذر وان يتدبر
 بالصبر والحزم لانه قد ينتقى باحد المتعصين المخطئين ويصدم معه وقد
 حرّو مرة احد الروسين عن لطواف في أحد مدينتين سمعه وهو يدير يد
 احدى آلات التصوير سينائية فلم يلبث ان هاجمه الخديف واعدب عليه
 اعتداء شديدا وما كان اعظم مرور اليميين لو ان هذه الآلة انتقلت صورة
 لمليكنهم المحبوب بدلا من تلك الصورة التي عملت في غيابه بالريشة من الذاكرة
 والتي جاءت بعيدة عن شبه كل البعد ولعمري انها الجريمة لا تغفر لان
 الامام يحبي هو أحد الرجال الامداد العظيمي الاهمية الموحودين في قيد
 الحياة اذ انه رئيس دولة مستقلة يعيش محتسبا من حدود محبته كما انه الرئيس
 الاعلى لاحدى الطوائف الدينية لكيرة واحدا لكثرة توريث القلائد الموحودين
 على ظهر السيطر في هذه الايام لان كل السلطات في بلاده متركزة بين يديه
 وما ورراؤه الا موطعون حادقون يخلصون له كل الاحلام ولا يجرؤون حتى

— — —

(١) انقلوه بحالة لانه يحى لا يري باسا من أعداء الصور الفوتوغرافية ولكنه لا يسمح
 لاحد بان يمسها فلكه صورة . . . وقد يكون المؤلف قد استقى هذه المعلومات التي لا اصل لها من
 مصادر غير موثوقة .

في أسط الامور واقفا أهمية على ان يتحملوا اية تعب أو أن يرموا
أمراً قبل أن يتسلموا أو امره وتعليماته فيه .

والامام يحيى في تربية رعاياه شخصية مقدسة فهم يأتون اليه في «ص
الاحياء من اماكن بعيدة في قوافل تسير اياما وليال وهم من البدو المرضى
للتبرك به ولاتماس الشفاء من أمراضهم منه ولكي يمد يده الكريمة ويصح
ها على رؤوسهم واكسابهم كما كان يحدث في فرنسا ومحلها من قرون بعيدة
عنده كان يقال اذا لمسك الملك شمالك الله ويكتب له الزيدون من اقامي
لهديسون الله أن يمدني من حليمة المسلمين وقد كثرت احديث الناس
في أوروبا عن يحيى بن محمد « كما لو كانوا يتحدثون عن شخصية طامسة محوطة
بالامرار وهذا خطأ فاحش ولكم ليس حسانا نحن الاوربيين بل هو خطأ
هو لا بد لاحد غيره فيه . حقيقة ان أئمة السلف السابقين كانوا يعيشون في
برج من الملح بعيد عن نظار الشعب وفي عزلة لا تمكن التقفل فيها أو
الله دمعها كانت تحماهم زعماء من الاعار ولقد كانت هذه العزلة التي كان من
شأنها ارتعاع مقامهم وعلو مركزهم وريادة همتهم في نظر الجماهير مطابقة
للتقاليد القديمة الموروثة التي يرجع اصلها الى ملوك ساساني قول الاساطير
عنه «هم ما كانوا يستقيمون الخروج من مساكنهم المحمية الابيقة مخافة
ان ترجهم الجماهير بالحجارة ١١

وقد بقي والد الامام يحيى متمسكا بهذه العادة محترما لهذه لتقاليد افريقية
التي جرى عليها ملوك اليمن ولكن الامام يحيى على عكس ابيه وحذاده ممن
دائم على أن يكون عن صلة دعة شمس ويمكن القول انه يعيش على مشهد
من الشعب دائما مقرر ومستمع احدي حواراته مثلا أو اذا بدت احدي
ركنته تشكو من المقر فلا تخصي نصف ساعة حتى يكون قد عرف
ذلك كل أهالي صنعاء .

ويجلس الامام يحيى في فصل الصيف في «حد امية» المقام « تحت ظل
شجرة كبيرة يحيط به رجال دولته وحجوده ويعقد حبه يقصدها البدو

الرجل بقوله ! لا حتى ولا أفكر في ذلك . . . ثم وضع سيفه الذهبي على رقبته وهو ممسك به بيديه كالميزان على الطريقة السندوية ونوحه على قدميه نحو المسجد (١)

أما بوافد الدور الأول المخرقة بالزجاج الملون وألواح الرقبة فقد كانت كلها مصاة وكانت تكسب « المقام » منظر مفرح من مسارح «الاوريت» ولقد دخلنا الى السور مخترقين انفسنا الذي كان يستريح فيه رجال الحرس وكان هناك أيضا عساكر آخرون حفاة الأقدام مساحون يجلسون القرفصاء حول ترحيلة ضخمة يدحسون منها كل بدوره فاذا ما انتهى الواحد منهم منك الآخر عيسها ووضعها في فم بطريقة منتظمة بحيث كان الدخان المتصاعد منها يحاجل المياه التي في قاعها

ولقد كان السور دحماً كغير من الناس كما كانت عتمة السور مملوءة بمجموعة حريفة من الاحدية المحافة الألوان والاشكال والمقاسات وصفت في غير نظام فكان فيها احدية من الصنف الأوروبي . احدية هندية وحري مغربية وأحفاف وعلبة ومبادل مستطيلة الشكل واحدية طارقة من المطاط وشباب مخططة وملونة بالورني الاحمر والاصفر واحدية مقعلة من انثيل الايض من التي نراها اليابايون موانئ الشرق وأسواقه ومما لاشك فيه أن هذا الذي كان يجب أن يأخذ مكانه إلى جانب هذه المجموعة الفريدة التي يندر أن يجتمع مثلها في صعيد واحد قبل أن أتقدم وأطأ بقدمي سحاحيد الديوان الضخمة ويجب أن أقول أن ذلك كان معقولا وكان أمرا لا بد منه بعد أن قطعت كل هذه المسافة في طرقات صماء وفي الليل (٢).

من هذا الوقت أصبحت على علم تام بتقاليد البلاط اليمني وآدابه وكان

(١) هذه الحكاية غير معروفة في اليمن ولا يتم مصدرها .

(٢) لاحظ على هذا حادثة الاحام لم يستقل المزارع استقلالاً رسمياً بل صارا وحي كان اسمه ألا تلاحظ بخلاف ما حدث مع الاحاب وكان يتنزه في صالون - صابر كما يستحسن بهمة دلوكة لآخرى رتبهم -

يحب أن تقوم كل دافع يدفعني الى رفع الطربوش عن رأسي ومجرد أن دخلت
 السهو الملكي كان على أن أدور هيبي لكي أبحث عن الامام ثم انقص على
 ركتيه لتقبيلها ولكن هذه أشياء من السهل التحدث عنها لا القيام بها
 ولا أدري كيف يجب أخيراً في المرولة حتى القدمين على البلاط الغير
 المستوى المقطبي بسحاحيد ضخمة وثيرة ولا كيف الحبث حتى كدت أبلغ
 الارض بدون أن يسقط طربوشي عن رأسي أو بدون أن افقد توازني وأنا
 اندفع نحو المليك الامر الذي كان - - - حدث - - - بعصر امرا غير لائق
 وغباءة وبلاهة ما بعدهما.

بعد ذلك بحثت عن مكان حال أحاس فيه فوق اوسائد المصوفة بطول
 حدران اسو الفسيح و - - - حذر أن لا أدركني للمليك ثم جلست مربع
 السقفين للذين سرعان ما بدأوا تشعرا بالكال لأههما لم تتمودا مثل هذه الجلسة
 وكان «الدوان» زحرا بالامراء والورداء وكان رجل الدولة ولكي لم
 أكن أهتم بوجودهم لاهم ولا يكتب الذين كانوا يتحمررون منهم الب
 تدفعهم الرغبة وحس الاستطلاع لمشاهدة لاستقبال الذي يستقبل به أمير
 المؤمنين أحد الاحباب الأوروبيين . ولم يكن في السهو - في نظري - سوى
 الامام على أن حضور المرحوم كان بعصر دون شك حادثا سعيدا ولكي
 ما كتب أعاق عليه مهمة كبرى أداني عنده، كدت أنكلم بلفظي كدت أوجه
 حديثي لمديك الذي كان يستمع لي باسمي وبدى رأسه علامات الموافقة في
 انتظار فهم كلامي من المترجم وهذا ما كان يجب على أن أصمله أما أيضا وأنا
 أصغى لأقواله .

كيف حالك ؟ . . . كان هذا السؤال يصل الى غير مجموع كأنه آت من
 بعيد ولم يكن مستظرا في حملة استقبال مثل هذه الحملة ولكنه كان مسألة
 احراء آت ولا شيء غير ذلك . ولما علم الامام أن صحى جيدة وأن رحلتى
 كانت سعيدة موفقة ظهرت على وجهه ع الاثم البشر وعلت ثمره ابتسامة
 رقيقة .

الموجود من صرہ، شتہ و خدہ نورع ککانه شہ قابوہ دہر من کانه محابوہ
و ملرد الطیب و کل من کانونا حولہ شہ ملردہ (۱۱)

[illegible]

ثم كثر لأمه وولده ما كانا نحتاجه من كل شيء
فأمرهم به ففعلوا به ما أمروا به من غير أن
يأذروا لأحد من أهل البيت شيئا من ذلك
شديداً الحرارة في نهاية عندنا من وجهي سيدنا
كأنه في عرقه كأنه في عرقه كأنه في عرقه
كأنه في عرقه كأنه في عرقه كأنه في عرقه
أشياء يصيرها من بين يدي رداء أمه من حلة
أخضرية موشاة بخرق من حرير موشاة بخرق
من حرير موشاة بخرق من حرير موشاة بخرق
الذين كانوا قدامي في الدنيا لا يمكن احتمالها.

ويزول فيما الحداث وفي سطره شعب في محتات له حروف في من
موصوفات كات في كل شكل ولا في بعض لاف في ولا في
للشمس في صهر في متغير في في في الماد لا في في الشمالية كا

١١) هذه القصة لا تحدد ، بل هي كأي قصة أخرى ، هي قصة حقيقية ، هي قصة حقيقية ، هي قصة حقيقية .

أظهر له دهشتي عندما يؤكد أن العرافين البعيين يستطيعون قراءة
المستقبل على عظام اكتاف الكبوش !

وكانت أمام الملك صينية نحاسية واطئة مقوشة مقوش عريه طريفة
وضعت عليها ثلاثة أكوام من الريالات القصية وهرم صغير من الصلب
كأنه يقف حارساً لحائمة الطريف الذي يصمم به كما كانت هناك بعض الأوراق
وساعة مكتب (مبه)

وعندما وضع الإمام يده على الأوراق الموحدة أمامه قيد لمحت أنهم
أن حصة الإمام الطريفة قد اشتهت واستذن في الانصراف

الايمن إلى اليمن

واليمن في الوقت الحاضر كما قال لي الامام علي وعاق مع حيراه كلهم
ويتكون حرس الامام علي الاحمر من رجال الجيش واحمدرك ليقطين .
وعساكر الملك اداء دحوا شكسبه المصادفه يرسون عمامهم سقات صغيرة
من الرمحان والياحمين . وفي استنقعة بلاد العرب ان تعيش انما قلعة في سلام
ولمأينة لان هذه الحريرة المرامية الاطرافوالتي تلغ مساحتهاثلثي مساحة
أوروبا واتى تتكون من مناطق بصره وأراض عظيمه الحصب ، من صحراوات
شاسعة واراض قاحلة حرداء نكسب احساس مجتمعه كانت دائما تنهكها لخصومات
والمبارعات الداخلية والحروب الاهليه وقد استطاع النبي محمد أن ينتجها كلها
ويوحده بينها ، أن يهزم عنى مكاب، دينه الحديد ولكن سرعان ما تولدت
بعده الاحتلافات وعادت الخصومات سببها الاولى وشتمت يردن
الحروب الاهلية .

وانقد تكلم حدهم ولا طرف عنى وجه الحديد من هو . عن
حدود اليمن فقال ان هذه الحدود ليست معينة أو محددة تحديداً كاملاً
الا من جهة البحر لان اليمن الذى هو انصب جزء في البلاد العربية ربة
والذى هو اغصها وانصرها واكثرها سكان واحصها مباحا كان في كل
العصور مطمع الانظار ومن العرب ان قدحله الرومان والسوريون والاحباش
كما غراه الفرس والمصريون وكما فتحه الازالك مرتين ومع ذلك فلم يعمرنه
طويلا اى مستعمر من هؤلاء المستعمرين وعندما استطاع ليمن أن يبقى
مستقلا كانت حدوده تتغير دائما فكان موكه في بعض الاحيان لايسيطرون
الا على صنعاء وما حولها من الهضاب والمرتعات وحيات كانوا يسيطرون
سلطانهم على ساحار شاسعة من الاراضى كانت تشمل مجدا والحجر والعصير

ان نحسن على ان اتمنى من الله ان يعينه في غلبه عند الامم . وحمد ووع
ذلك فممكن تقدير ايرت الحكومة فتحو مدينة الملايين من رواتب
وعمدها اس اشيء . كثير وركن في كل اثنان من اشراف لا يرد على
الاربع الملايين من ارباب في الحقن حاكمه عليه لانه من غير
المخبرات في الشؤون حيسه ويدهم الوسيط راس عليه . وفي
حالات شدة ان ارباب ربالا في سر وهي مدره . وطلب حربه .
ويتمنى القصد .

[illegible][illegible]

الماجوى الذى فرضه عليهم ديههم وزل به كتبهم المقدس .
ويتمتع الملك الى حد صفة المدينة بسطة عليا دينية يستمد منها قوة
لا يستهان بها فالزبدون يعظمونه ويوقروه ويطيعونه في كل ما يأمرهم به
ويدفعون له الضرائب والعشور عن طيب خاطر وبحارون في صفوف جيشه
عند اول اشارة تصدر منه لانه بهذا امرهم الله الذى اوصاهم باطاعة ولى
الامر فيهم حتى يحسوا لانفسهم حجة الخلد وما فيها من اعمم مقيم كما يقدره
ويحترمه نقيه رعائاه من ليمانين لعمى الزبدون من شوافع وامم عدينية وغيرهم
وبدو الشرق .

لقد رى ابنى محمد شاف وكبره وبواسع حكمته ان يعين الخليفة الذى
يليه ومع انه كان قد اصطفى من سبى حثت كورير له ابن عمه الشاب على الذى
كان اول من آمن به واتبع دينه وتزوج من ابنة فاطمة الا انه قد حدث انه
حسب الله انى حثكت ، راع بمولحان من يده وعين ابو بكر خليفة
للمسرة كما عين بعده عمر الذى احدثه له لقب « أمير المؤمنين » وهو
اللقب الذى تحببه الامام يحيى على نفسه ، في عهد هذا الخليفة انتشر الاسلام
في بلاد كثيرة واتسعت موحدة المسلمين حتى انهم فتحوا سنة وثلاثين الف
مدينة وحصنا وشيدوا القلاع واربعمائة مسجد .

وعندما تولى عمر نجيب عائشة (١) في لكيد لعلى واستطاعت حرمانه
من الخلافة ورشعت للخلافة بدلا منه عثمان بن عفان ولكن عندما مات
هذا استطاع على ذلك الرجل الحكيم اصلاح الكرمه انمارس المقدم والعدل
المفوار الاستيلاء على عرش النبي ومع هذا فان عائشة لم تلق سلاحها بل
ظلت تساوئه وتخاصمه بعد حين من الدهر واثارت ضده الفتن والاضطرابات
كما شجعت بعض المتعاليين بالخلافة على الخروج عليه ولقيام صده على انه لم
يلت ان قتل ييد أحد الخوارج امام مسجد الكوفة وقد اتقمم المسلمون
بعد وفاته الى معسكرين عظيمين سيبين وشيعيين فكان السنيون يعترفون

(١) المعروف بالتاريخ^١ لم يكن لثلاثة رضوا عنه أى دخل في هذا الموضوع

بشرعية خلافه الخلفاء الثلاثة الأول أبو بكر وعمر وعثمان وما الشيعة فأنهم كانوا لا يقرون ذلك ويقولون بمحاصر الخلافة في علي وولاده وذريته .

وقد أصبح سكان طرابلس اليحزبه الذين كان لبي قد أرسل لهم علياً ليهديهم للإسلام من الشيعة وألقوا المذهب الريفي نسبة إلى زيد أحد أحفاد علي واستمروا يحتنون ملوكهم من بني أحمد لرسول بيما بقي معظم سكان نهامة من أهل السنة واعتبره الريفي من الخوارج ولذلك استمر البراع قائم بينهم ولم تخمد نار الحروب بين الفريقين وعندما قام «لودفيك دي فارتينا» برحلته الحريثة إلى اليمن كان الخلاف قائماً شديداً بين الفريقين

ولا يحب انقاريء إذا علم بأنني أحدث معنى كدليل لي في سفرى إلى بلاد الامام يحيى كذا اوضح من نحو زعمته سنة ذلك لأن اسكتب التي وضعت عن هذه اسلادقيلة وسيرة سبب الرحلة التي يمش فيها هذا البلد «الدليل» الذي وضعه ذلك الصانع «موروني» (نسبة إلى مدينة بولونية الايطالية) فهو كتاب شائق يبدع عظيم لأهمية وعصا عن ذلك فانه روى لا يحضر سال سندن كثيرا مما رواه فيه هذا الرحلة من الامم صاف والحكايات لارال الله في ليوم قيته .

ولقد كان «دي فارتينا» هو أول وروى روح إلى بلاد اليمن وأول من بشر الأبحار عن مدينتها وسكانها ومرور غامها ومساحها فقد أبحر من مدينة السدقية في عام ١٥٠٠ م . وبعد ذلك تمين مدفوعا برغبته لشديدة في «تغيير مظاهر بلاده ومحل قامة» ولكن يرى بلادا جديدة ويعلم اشياء جديدة . وكتابه هذا كتب رحل مكتشف حليل القدر حريء مقدام قوى القلب دقيق الملاحظة «عد الصيرة» ومحدث حلو الحديث دي تأثير عظيم قد قام برحلته هذه في اوقات كان لا يقوى فيها بالرحلات البعيدة الاتجار والغزاة المتاحون وكان سفره «ولا إلى مدينة دمشق حيث تعلم شئت من اللغة العربية ثم انحرف في سلك فرقة عسكرية من فرق المماليك كات مملكة بحراة قافلة الحجاج السفر إلى مكة والتي كانت تتألف من ستين الف رجل وحملة وثلاثين الف حمل وقد زار الأماكن المقدسة الاسلامية ومن مكة سافر إلى

بنقله الى احدى عرف قصرها الارضية لتثديد الحراسه عليه وكانت تقوم
 بزيارته كل ليلة مع وصيفها وتحمل اليه معها طيب المأكولات وتضع المعطور
 وفي ذلك يقول « دى قارتيا » « بدأت اسلطانة تتناول بالتزول الى الغرفة
 الارضية التى كنت فيها كل ليلة فى نحو الساعة الثالثة والرابعة وكانت تحمل
 فى معها دائما « كولات طيبة ولم كانت تدخل حيث كنت مسجونا كانت
 تنادى بقولها تعال هيا يا لودنيك ثم نسألى قائلة : انتعرا بالجوع ؟ وكنت
 من شدة جوعى قول لها نعم وكنت انحه نحوها فقبضى ولسكتها كانت
 تقول لى : لا . اس هكدا . بل اخلع عنك قبضك » وكنت اخلع قبضى
 وعزى الجراء الاعلى من حدى لارضتها . كانت لسفدة المسكية تنقى مامى
 ساعتين وهى تتأمل حدى وكنت انا ايضا اناملها كما لو كانت احدى عرائس
 البحر وهى تنكى وتنحب وتتفرع الى الله قائلة : يا الهى ! سبحانه اللهم
 ومحمدك حدث بذكرك انك خلقت هذا الرجل ابمن كانه قطعة من الشمع اما
 زوجى فقد خلقتة اسود فارزقنى مولودا ابيض اللون كهذا الرجل . وكانت
 تكرر كلمات كثيرة بهذا المعنى ثم تأخذ فى الكاء ثم تنصرف . وقد وعدتني
 بانها بمجرد وصول لسلطان سوف تسمى لديه لفك عقلى واخلاء سبيلى »

وفعلا نجحت السلطانة فى جعله يستعيد حريته وقد تمكن « دى قارتيا »
 من العودة الى عدن حيث استطاع الاتفاق مع قبطان احدى السفن التى كانت
 على وشك الرحيل الى بلاد فارس والهند على السفر معه ولكن لما كان لا يزال
 باقيا على سفر السبعة شهرا كاملا فانه قرر زيارة بلاد العربية السعيدة وقام
 برحلته اليها على ظهر حواد وكانت اول مزاره هى امانة لحج لى شاهد
 فيها كليات لا يحصى لها عدد من السجيل ولتى رأى فيها الكثير من اللحم
 والقمح « كما رار » المقرانة « حيث « بحور سلطانها من الذهب ما يزيد على
 حمل مائة بعير » كما زار ايضا « يريم » (التى يسكنها شعب من اليرواح لسود
 والننى يوجد فيها نوع من الاغنام المحامى السمية : الكبيرة الذبول التى يرن
 ذيل الواحد منها نحو الاربعة والاربعمى وطلا وليست لهذه الاغنام قرون
 وهى سبب صحافتها لاتقوى على الحرى وفيها ايضا نوع من السمك الابيض

الخال من البذر لم اتق في حياتي كلها عساً حتى او اشمى منه ، وقد وصل
« دى قارتيا » بعد ذلك الى صماء حيث ادهشه اكثر من كل شئ امر ان احدهما
سورها الكبير المتناهي الصحابة الذي كان يتسع لسيروايلية من الخيول
الى حاسب بعضها وثانيهما عاده اداء السلطان العربية الذي (كان يشتد
هابحه وغضبه فيعص الناس ويأكل من لحومهم حتى يشبع ثم يتركهم) وقد
شاهد في مدينة (نمر) مسجد بى على طراز كيسي القديسة (ماريا روتوندا)
في مدينة روما كما لاحظت وحود أسواق عظيمة في مدينة (ريد) تباع فيها
بضائع واشياء متنوعة تشحن الى البلاد الاخرى

وقد رار (دى قارتيا) ايضا في هذه الرحلة مدينة (آس) التي تقوم بين
حلبين يتوسلها وادبارع الحبل وارف لظلال وفيها نافرة حبل وقديصب
في ذلك الوادى سوق كان يقصده لاس من هذا الحبل ومن ذلك وقليل هم
اشجار الذي كانوا لا يتشاجرون مع بعضهم ولسب في ذلك هو ان التجار
الذين يسكنون الحبل الغربى كانوا يطلون الى سكان الحبل القبلى ان يؤموا
مثلهم بمحمد وحملة الائمة فيما كان الآخرون لا يريدون الايمان الاعمده
وعلى ويقولون بان الخلفاء الاخرين باكر وهر وعثمان غير شرعيين .

ويبلغ عدد لشوافع القاطنين في نهامة نحو ثلث سكان الشعب البنى ويعتبر
القرآن كتاب الشريعة المقدسة سواء عند سكان الهصة اليمنية أو سكان السهول
الساحلية ولكن هذا لم يمنع من اختلاف وجهات النظر في شرعية حكومة
صعدة . والزيود الجبليون هم الاقوى حابا فتحوا نهامة وغروها بجند السيف
ولكنهم مقتنعون تمام الاقتناع بانهم لم يستطيعوا غرو نفوس سكانها . وقد
تركز الدفاع عن اليمن وأعد كله فوق المرتفعات وذلك اولا لاسباب جربية
فنية وثانياً (١) لان الزيديين قليو الثقة باحلاص سكان السهول الشوافع

(١) في كلام المؤلف هنا خطأ لغوي فالجيم لا حاء . فتميز كل هدية
واحد والثقة متبادلة بينهم .

اذ أن هؤلاء عندما زحفت جيوش ابن السمود في اثناء الخلاف الاخير بين الحجاز واليمن لم يترددوا في ترك تهامة في ايدي القزاة الفاتحين بل واستقبلوا السعوديين الذين جاءوا لمحاربة الامام يحيى بكل ترحاب ولم يدهش الزيدون لذلك لانهم كانوا يعرفون في الشواجع عدم الاحلاس لهم على انه عندما أخلى الجيش الوهابي الاراضى المحتلة بعد عقد الصلح لم يعمد الزيدون الى الانتقام من مواطنيهم بسبب مسلكهم بل انهم على العكس من ذلك اتفقوا مع مواطنيهم الاسماعييين الذين هم قبيرو العدد في البلاد اذ لا يزيدون على الاثنى عشر ألفا ولكنهم يسكنون مرتفعات «حرار» في الشمال الشرقي الى الحديدة ويستطيعون بحكم موقع بلادهم الدفاع عن الحصان والمرتفعات اليمنية .

والاسماعييون يفتنون ابطال الساحتين في الشئون الاسلامية من هذه قرون لان لهم موقفا دينية يجب ان يكون لدى الانسان شيء من الحيلة اذما تحدث عنها وهم يقيمون في احزاء كثيرة من بلاد العرب والهند ويقال ان منهم من يسكنون في بعض احزاء روسيا

ويقال ان الامام يحيى قد ارسل الى ناحية «حرار» حدوده فجأة لتحرير الاسماعييين من اسلحتهم ومصادرة كنسهم المقدسة التي ملاؤا بها حصين صندوقا كبيرا واعتقلوا اربعين من رؤسائهم اخذوهم اسرى الى صنعاء وفرصوا عليهم اما ان يعتنقوا المذهب الزيدى او ترك بلاد اليمن الى غير رحمة ولقد مات كدأ وغماً بعض هؤلاء الرؤساء الاسرى الذين اضطروا الى اختيار احد امرين أحلاهما مر ! !

وقد بقي الاسماعييون في اليمن ولكن هل يجب أن يشق انسان هؤلاء الزيد الجدد ؟

وقد سار الامام يحيى على طريقة أخذ الزهاس من بعض القائل وليست هذه هي الطريقة المثلى التي من الممكن اتساعها لتكوين وحدة روحية متينة في اليمن بل انها على العكس تحيى الاحقاد وتحدد الخلافات الثمينة المداها الاسلامية المتنامية ولكن يبدو لي انها الطريقة الوحيدة التي تستطيع حكومة

تقوم سلطتها على شعور الشعب الدينى - أن تستعمل لكي تكون فى مأمن من دسائس اقلية تخالفها فى العقيدة الدينية .

ويبلغ عدد هؤلاء الرهائن أكثر من ألف منهم ثمانمائة فى صمصاء ومائتان فى الحديدة وكلهم من الاحداث الذين تتراوح اعمارهم بين العاشرة والثامنة عشر يمثلون كل لقائيل الغير الزيدية وهذه القبائل تستد لهم كل بضعة اشهر نفيرهم من لصية . ويقام الرهائن فى مدينة صمصاء فى « القصر » وهو حصن العاصمة الجنية المسع وهذا الحصن قلعة عظيمة تكسها مداخيل المتبوية وحدراتها العالية الحالية من الفتحات مطرا قاسيا يخيفها ولكن مدافعها الموضوعة فى اراجها الحادية لا تطلق الا للتحية وفى المواسم والاعياد الرسمية ويحشد الاسان فى « القصر » شيئا من كل شئ فففيه دار سك النقود وعماله من اليهود وفيه مصنع حربي حرب فيه مرة صب أحد المدافع الذى انفجر عند أول طلقة أطلقت منه كما أن فيه مخربا للادوات والآلات الحربية الغير المستعملة وفيه غير ذلك كله ثكنة لفرقة من الجنود ومدرسة للايتام الذين يعلمهم الامام القرآن وأصول الدين ويلبسهم بدلة صفراء وفيه علاوة على ما ذكره من يودع فيه المحبوزون على اختلاف انواعهم وفيه الرهائن الذين وضع لهم نظام وسط بين نظام الجنود ونظام الايتام ونظام المسجونين فهم يشتركون احيانا فى الاستعراضات العسكرية ويسرون فى صفوف الجيش بدون أن يحملوا سلاحا وفى « البحر » يحمل الشاب كل التحمل اذا ما ظهر امام المحمور بدون أن يحمل على الاقل خنكرا فى حصره وهو يسير بين صفوف الجنود المسلحين حتى استأنهم .

والقبائل التى أخذت منها هذه الرهائن هى التى تتولى الاتفاق على طعامهم وملبسهم وحكذلك تفعل اسر المحبوسين فى الحرائم العادية فهى التى ترسل اليهم المأكل والملبس . وألا يكفي ان تقدم لهم الحكومة من عندها الممكن والقيود ؟

وما لاشك فيه ان هذه الحال تسبب لليمن بعض المتاعب اذ تحمل حامدا

وتتركه واقفا حيث هو في عالم كل ما فيه يتحرك ويسير ويخطو بخطوات واسعة الى الامام فالخاصر هنا انما هو صورة للماضى ولا شئ يسي الى اليمين ويخرج عزته وكرامته اكثر من ان تمنى له مستقبلا يخالف حاصره !!

ولقد بقيت الثقافة العربية المحيضة في اليمس كما كانت منذ عدة قرون حلت فهي تنتقل بين المنصور المتيقة والكتب القديمة البالية والاوروى الذى يسعد الحظ بالتحدث الى اليمينيين المثقفين بلغتهم والذى يستطيع التعلل والوصول الى افكارهم وآرائهم في المسائل الفنية والعلمية — يشعر بذهشة عظيمة عندما يجد نفسه قد املت الى القرون الوسطى والعادات والزراعة والفنون قد بقيت على حالها كما كانت في الماضى . ولما استعاد اليمس استقلاله نفى في معزل عن جميع التيارات الخارجية وتجنب كل اتصال او احتكاك مع الشعوب الاخرى التى تفوقه مديية ولحكر اى عجب في ذلك اليس افرادها من غير المؤمنين ؟ واليس الاتصال بهم يستوجب فقدان كل طهارة ؟

وليس من شك في انه سوف يأتى يوم ان عاجلا او آحلا يقوم فيه كما حدث في بلاد اسلامية اخرى صراع قوى عتيده بين عوامل التقدم الحية والقوات الدينية القديمة وعمدئد لا يعلم الا الله وحده ادا كان هذا الجزء من بلاد العرب سيطر عليه اسم «العربية السعيدة» او أى اسم آخر .

الكنيس المخبوء ١١

في فجر نحد الأيام نفق حمار أمود اللون في طريق من طرقات مدينة صعاء في أثناء قيامه بعمله اليومي المصنى اذ كان يحمل الى السوق حملا ثقيلا من تلك الأقراص الكريهة الرائحة التي هي خليط من القش وروث الجمال التي تتألف منها النوع الوحيد من وقود أفران البلاد. ولما رآه صاحبه قد صجر عن مواصلة السير ووقف وتمتر دون أن تستحنه الميحات العالية ولا صرب لمصى ثم لم يلبث أن وقع على الأرض لاحتراك به خدع عه حمله الذي ناء به بركة حيث هو بعد أن وضع على مقربة من فمه حرمة من الحشيش الأخضر على أن الدابة المسكينة لم يكن قد بقي فيها نفس ولم يكن فيها قوة على تناول زادها الأخير.

ولما كانت معظم طرقات صعاء ومنها ذلك الطريق الذي سقط فيه ذلك الجعش المسكين لا يريده اتساع الواحد منها على اتساع أى زقاق إلا أنها تبدو كثيرة الحركة وتزدحم دائما بالرائحين والغادين فانه يكسأ أن تخيل ما يسبه من الضيق والعم وحود تلك الجيفة التي تعرفل حركة المرور والتي سرطان ما تلتفخ وتمسد الجو رائحتها الكريهة المؤدية دون أن يهتم انسان بتحريكها أو نقلها من مكانها حتى الغد اذ أن اليوم هو عيد اليهود واليهود هم وحدهم المكلفون بنقل الجيف من طرقات صعاء.

وعندما كان البنسيون يمرون من تلك الجهة كانوا يديرون وجوههم الى الناحية الأخرى ويسدون انوفهم وهم يحاذرون ان يلمسوا الدابة النافقة حتى ولا باطراف احديتهم وهم اثناء ذلك يصبون لعناتهم على اليهود الذين يفضل الواحد منهم الموت على ان يحرك اصبعاً من اصابعه في يوم السبت . ومع ذلك فهل لم يخطر ببال العرب ان يحل احدهم مرة واحدة محل اليهود ويتطوع بنقل هذه الجيفة من مكانها ؟

ويمكن القول « أن العرب لا يتظنون إلى اليهود الا نظرة الاحتقار والاشتمال ولكن ترى من عساه يشكوى اليهم من معاملة أحوالهم هذه المعاملة ؟

لا أحد . فارق هذا يكاد يكون امثالا مسمى به والمزيد القلائل وكلهم من الاحاش يعاملون بمعاملة رحيمة ويعيشون عيشة قد يعطون عليها من كثيرين من الاخر ربه مدحون في الامر ويلحق النساء بالحريم وينتهي الامر برحالتهم أن يصيروا حذرا محللين لاسادتهم ومالكيتهم

ورغم من سحر الدول وبقظتها لا يقطع تجار المبيد عن مراوطة تجارتهم الدميعة المقنونة بهم يسوفون المبيد في جماعات مدبرة إلى الجهات لصحراوية المقنونة على شواشيء البحر الاحمر تركبهم (اسديك) التي تنقلهم إلى الشواشيء العربية وشواشيء حبيح فارس ويقال ان المحاسين المجرى من ان تدركهم سفن البوليس المخصص لمنع تجارة ارفيق اعتدوا أن يربطوا حجرا كبيرا في قدم كل عبد حتى يستطيعوا احماء حملهم بالثقل انه سرعة في البحر اذا ما اقترب منهم مطاردهم ولا ادرى اذا كان بعض هذه (لسايتك) لا يزال يظهر امام الشواشيء البسيطة إلى الآن حيث ان بصاعتها اصمحت غير مرعوب فيها

ومما لا شك فيه أنه كانت هناك عودية حقيقيه في وقت من الاوقات ولكنها سرعان ما فقدت في اليمن كما في غيره من بلاد العالم الاسلامي الكثير من أشكالها الكريمة اذ ان المبيد كان في مقدوره دائما أن يتحرروا وأن يعملوا في الصناعات والمهن التي يعافها بموس العرب وهذا في اليمن طائفة خاصة من المخدم يقال لها (الاخدان) تتكون من اناس من شتى الملل واسلهم خليط من كل سلالة ومن كل جنس تقوم بعمل مختلفة فمنهم لقصايون والحلاقون والمحامون والكتابون وعمال الحمامات العامة والخالون ومرغو السفن في المياه والنسوة اللاتي يعملن في تنظيف لسن وقرح حمامه ومما لا شك فيه أن حالتهم الاجتماعية لا تدعو للشفقة وعلى الاحص اذا كانوا مسبيين اذ انهم يتمتعون بكافة الحقوق المدنية ومنها امتلاك العقارات

ولقد سمح لليهود بأن يتسلطوا مزارع يسكنونها على شرط أن تكون
دات شكل متواضع وأن لا تتكون إلا من طابقين اثنين والواقع أن الاسان
مرعان ما يلاحظ عند زيارته للمدن النمية أن لدور اليهود منظرًا يختلف
كل الاختلاف عن منظر القصور النمية دات الزخارف الكثيرة ونحن في
عنى عن القول بأن قاع اليهود إذا ما قورن بأحياء العاصمة الأخرى لا يبعد
شيئًا مذكورًا وعنى الأخص بسبب حلوه من المساحد الجميلة دات القباب
القمحة والمآذن المشيقة وبه يعطيه لها من جمال وأبهة وحلال

وفي الحق أنه توحد بعض الكس في اليمن وعددها لا بأس به ولكن
«الكيس» لا يحب أن يمتاز عن الدور في شيء ولا يحب أن يبدو فوقه
أية علامة خارجية تميزه عن منازل «قاع اليهود» لأن منظره يسبب الملل
وتشعر منه نفوس اليمنيين وهكذا أصبحت «الكيس» محبوبة ومحجوبة
عن العيون وكثيرًا ما يلاحظ الألمان - وهو سائر في طرقات حي اليهود
القدرة الصيقة جهورًا صغيرًا يخرج من باب صغير في أحد المناسم رجال
يخاف الحسوم صغر الوجوه وبه يعطيه رؤوسهم بمناديل كبيرة سوداء
اللون طرقت حو فيها بالقصة وانفعل يحملون فوق ملائهم كل نوع من
أنواع التلثم التي تقيهم شر الحر ولا يخرج كل هؤلاء من حفلة استقبال
أو من إحدى لولائهم بل من «الكيس» وهذا الباب الصغير الذي
يخرجون منه يؤدي إلى فناء ضئيل حדרاته بالحجر وبه بعض مكاتب وغرف
صغيرة وفي آخره منفتح باب المعد وهو غرفة مضيئة فرشيت أرضيتها بالحصى
وقد خلت من الامتعة والرياش إلا من خزانة صغيرة أعدت لحفظ
الكتب المقدسة

ومن أسعد المخطرين من كان اليهود بصحة واحد منهم تتكشف
له حقيقة حياة الأسرانييليين في اليمن تلك الحياة المكرسة كلها للأسرة والعمل
فهم يعملون بمساعيهم عناية يندر أن يحدها الاسان في مزارع العرب
والترحيلات المعجمة المراكشة التي هي غرة المقارح النامية وریشها والتي
هي ساحة المدحجين يصعب في هذه الأقسام أى نصيب فيها أيضًا كل الحلى

والمصوغات الذهبية والفضية الرقيقة من العقود والاساور والخواتم والدلائل
والتمائم التي يحلو لنساء العرب التزين بها

وليس في استطاعة اليهود كما قلنا حمل السلاح ومع كل فهم الذين يعملون
مقابض المساجر والسيوف ذات منظر فحم عظيم بما يقشونه ويخفرونه عليها
من نقوش وزخارف بديعة

وليس لهم حق السكنى في قصور فخمة رائعة أو دور مرحفة انيقة
ولو أنهم الذين يسكنون قصور السادة والاعنياء والأمراء وزيوتونها
أحسن رتبة

ولا يسمح لليهود ركوب الخيل على أن البرادع الخيلة التي توصع فوق
ظهور الخياد العربية الأصلية أعما تخرج من تحت أيدي اليهود المساهرة
العائلة الناصية

وصعوبة القول أن معظم تجارة وصناعة المدن اليمنية تكاد تكون
محصورة في أيدي اليهود ومع كل ذلك يرى العرب يصرون لهم كل احتقار
وإزدراء ولو أنهم يعلمون كل العلم أنهم لا يستطيعون الاستغناء عن عملهم
التيمن ويهتم الإمام بحبي شاعده نصره وواسع حكمته كل الاهتمام باليهود
ويتقدم حق قدرهم . وهناك في اليمن قانون قديم معمول به من عهد سعيد
يقضى بانتقال أملاك من مخرج من اليمن من اليهود إلى يد الملك ومع ذلك
فقد تم في السنين الأخيرة ارتحال عدد عظيم من اليهود وأذكر أنني شاهدت
في ليلة دافئة من ليالي شهر ديسمبر الماضي صنع مئتين من اليهود عند رسي
الواحر في ميناء عدن محتجين بسطرون دورهم للسفر إلى فلسطين وضمهم
القومي المزعوم وكانت لمعظمهم تلك القضية الطويلة المرسلة من أصدغهم .
أما نساؤهم فكان لا زلن يحتفظن بملابسهن التقليدية التي كن يرتديها في
المدن التي حشر منها بالصعانيات كن يلبسن المراويل التيلية السوداء لمشدودة
إلى كمومن برباط من حرير احمر وكن يعطين رءوسهن بمسادل سوداء
كن يمكن اطرافها بأيديهن لتغطية افواههن . أما يهوديت تمر فكان يتحلين
بعقود مختلطة الألوان وبأكاليل صغيرة لطيفة وقد لث هذا الجمهور في

انتظاره صامتا لا يبدى حركة ولم تكن تدنو الحياة الا في عيون افراده التي كانت تشرق بالآمال

واليهود هم الذين اشار النبي محمد بايهم .عداؤه الألداء ولذلك صب لمتته عليهم ولعن كل من اتصل بهم والواقع انه خير للمرء ان لا يتعامل معهم وأن لا يخدمهم بين قديسه .ولكن لو ان اليهود جميعا تركوا بلاد ايمس فمن ذا الذي يستطيع ان يحل محلهم أو يغلاء الفراغ الذي يشغلونه ؟

هل هم العرب ؟

ويعرف الامم بحبي رعاياه حق المعرفة ولذلك ليست عنده شبهة في هذا الأمر ويؤثر عدم الاستيلاء على املاك اليهود ومهم من جمع ثروات طائلة رغم كل الصعوبات التي يلاقونها ويفصل الاحتفاظ باولئك القوم الدمى الخلق العاملين المحدثين الذين يساعدون مساعده حديه على تقدم بلاد اليمن ونجاحها ورفاهيتها وريادة ترونها .

ومع ان الامام قد ترك اليهود في حالتهم الاحتجاجية المسحطة ولم يعمل على رفع القيود الثقيلة المفروضة عليهم الا انه قد اتخذ في السنوات الأخيرة عدة تدابير من شأنها مع العرب من مصارحة اليهود بالعداوة والعضاء ولسوف يقول بعض المنعصبين ان الامام يحمي اليهود ويشملهم بسطقه ورعايته !!

والواقع انه حمايتهم والحفاظة عليهم فد سحهم واحكم اغلاق الباب دونهم !!

عاهل بلاد العرب

اعل أعظم حادث وقع لليمن في هذه السنوات الاخيرة كان الخلاف بينه وبين الحجاز . وقد استيقظ العالم الذي لم يكن على علم بحقيقة الموقف في بلاد العرب الجنوبية بعد انتهاء الاستعمار التركي واستمع لاشاعات الحرب بدهشة عظيمة . فقد ظهر اليمن بمئة امام الناس ولم يكونوا يسمون به او يعلمون من ثمره شيئا وسرعان ما تداول الناس الحديث عنه لانه كان يبدو امامهم كشيء غنى عليه السمان مما على سطح الماء الذي كان يفرضه ويحجبه عن الانظار من عهد بعيد .

اليمن ؟ صعبا . . . لم تكن معظم سخاير عرف لهذه الالفاظ معنى وحتى لكثير السياسيين منهم اضطر الكثيرون منهم الى الاقتصار على المعاجم الخرافة المحرقة بحثون فيها وسفهموا الى الكتب المدرسية يستقرئونها فلم يظفروا بها عن اليمن الا اشياء لا تسمى ولا تغنى من جوع

وعلى اثر ما كتبه الصحفيون الاوروبيون في أثناء الخلاف وبمده قامت صحافة القاهرة ودمشق ومدى بمجمل الاوروبيين بلاد العرب بوجه عام وباليمن خاصة لان كتابهم احدثوا يتحفظون في كتاباتهم وحلطوا كثيرا في الاسماء ولتواريخ كما سمو الى مختلف البلاد العربية المتناحرة بعضها لبعض سكانا ومذاهب دينية ومصالح تحالف تمام المحاربة سكانها وعقائدها ومصالحها .

وفصلا عن ان اليمن التجارية الاوروبية الصاعدة الكثيرة العدد تنقل كل يوم في مياه البحر الاحمر عليها تمر كل يوم على مرمى السهم من السواحل اليمنية دون ان تعرض عليها . من عادة اليمن ان لا يتحدث عن نفسه وان

لا يدع الناس يتحدثون عنه كثيرا لانه بعض معتكفا في داخل حدوده على ما يشتهي غير مكترث بما يجري في الحياء لعالم الاخرى من الاحداث جيلها وحقيقتها وبدون ان يحس رغبته في ان يقلل الاحباب من الاهتمام به يتحدث في داخل حدوده ومع هذا فهل لم يقل الناس دائما ان اسعد الشعوب هي التي لا تاريخ لها ؟

واذا كان لا يزال يوجد شيء من الحقيقة في تلك المبرة القديمة التي يحتفظ بها ذلك الحر ، من بلاد العرب فانه كان مديبا به لتلك العرلة التي ترميها وذلك الصمت الذي عرف كيف يحيط نفسه به .

اما الجزء الآخر من بلاد العرب وهو الذي يقل له « لصحراء » فقد عرف الناس عنه بعض الشيء في السموات الاحيرة بفضل ذلك الكتاب الشائق الذي وضعه عنه « لورنس » الشهير وبفضل الرسائل المتتعة التي يكتبها عنه المستشرق « فيلي » من آن لآخر ، كما عرفوا عنه بعض الشيء مما ذاع في اثناء الحرب العالمية الاولى وبعدها عن الحوادث التي اثارها صراع المتحاربين حول قناة السويس والوقائع التي وصفت حد الحكم الهاشميين وسيطرتهم على الاماكن المقدسة الاسلامية وعن انشاء الامراطورية الوهابية العظيمة :

ولقد كانت صورة ابن السعود الوفورة وشخصيته المسجلة في الصف الاول دائما لان تاريخ حياة هذا الامير البدوي السيل والعارس المغوار القدير والسياسي الحاذق العظم السيل الذي هو اسمه شيء فالتقصص الخرافية او الروايات الخيالية كان موضوعا لعدة مؤلفات لبعض الكتاب الذين خلص عليه نفر منهم لقب « ناصيون الصحراء »

ويعلم الناس جميعا ان هذا الرجل في مدى عشرات قلائل من السنين قد بنى مملكة وانشأ امراطورية الشاسعة المترامية الاطراف وكانت أسرة آل سعود قد طردت من امارتها في (الرياض) على يد آل الرشيد الذين كانوا يحكمون في (حائل) والذين اضطروا السعوديين الى الالتجاء الى ملاد الكويت . ولقد كان ابن السعود لم يزل في الخامسة والعشرين من عمره وكان لا يزال

فقيرا لا يحكم الا على عصاه عندما فكر في استعادة ملك آباءه وأجداده فقام
ومعه ثلاثون رجلا من رجاله الاشداء المحصلين كانوا على تمام الاستعداد
للمغامرة معه بحياتهم ولاحتال كل ماقد يصيبهم في سبيل نصرته . وقد نجح
ابن السعود في التسلل ليلا وبدون أن يراه أحد الى (الرياض) والتفعل في
قلب مدينته لقديمة ومسقط رأسه حتى وصل الى قلعتها نشجاعة وحرأة
عظيمتين وفيها استطاع التغلب على الامير عجلان وقتله بعد عراك عنيف قام
بينه وبينه جسما لحسم .

ولم يلبث على اثر هذا النجاح الاول ان قام بزحف سريع حافظ خلال
لصحراء لرملية انقحلة واحتل مقاطعات بعد الواحدة تلو الاخرى بعد مراك
دائمة حامية الوطيس وكان احتلاله اياها بهذه السرعة قد جعل له شهرة عظيمة
داعت عنه في الآفاق وكان من شأنها ان هابه اجميع و اعتقدوا بانه الرجل
الذي لا يقهر !

وكان يتبعه في سار رجاله السود الذين كانوا يحصون حصونا أهمي
للقويين والتعالم الوهابية الصارمة وكانوا ينحمنون كل المساعب ويواجهون
كل الاحضار في سبيل نصرته فلم يمض طويل وقت حتى فتح مدينة
(حائل) بعد أن أباد آل الرشيد وشتت شمل رجالهم كما غزا أرض الاحساء
الواقعة على الخليج الفارسي واحيرا وحه نظره شطر لهاشميين الذين كانوا
اصدقاء لريطابا ودخل عاصمتهم مكة في اليوم الثامن عشر من شهر أكتوبر
سنة اربعة وعشرين وتسماية والالف .

استمرت فتوحاته في الامتداد حتى بعد احتلال الاماكن المقدسة وبعد
ان استولى على حدة تقدم نحو المير وكان مقدر له انه في رحفه نحو الجنوب
لا بد وان يلتقي ويصطدم مع امام الزيديين الذي كان قد احتل اقليم الحديدة
وكان يحاول أن يمد في حدود مملكته نحو الشمال . وفي الحق انها كانت
ستكون مقالة تاريخية مشهودة بين ملكي بلاد العرب ابن السعود وبني
محمد اللذين لشخصيتيهما أهمية عظمى لانهما الرحلان العريان الوحيدان اللذان
يستطيعان المعاصرة بان مملكتيهما مستقلتان استقلالاً تاماً عن كل سيطرة

من حاسب الدول الاحذية والسدان هما في الوقت الحاضر رئيسان دينيان
لما تفتين كبيرتين من طوائف المسلمين يحكان حكا او توقراطيا تلك البلاد التي
لا تزال تهر عيوننا وتأخذ حمامة قلوبا وكلامها لم يخرج لان ولم يتخط
حدود بلاده

وكان حظ بلاد العمير يتأرجح في كفه القدر امام هذين الرجلين العظيمين
والماهليين الطموحين وكان في استطاعة هذه البلاد ان تقوم بوظيفة دولة تحمل
من نفسها حائرا وسدا بين دولتي اليمن والقطار وان تعيش عيشة سعيدة
ناعمة السال على حساب هذا الوضع لو لم يكن على راس حكومتها ذلك رجال
صغار النفوس لم يعرفوا كيف يتمتعون بهذا الوضع

ولكن الى أية حكومة كان يجب ان تنضم بلاد العمير انصاما شرعيا اذا
ما فقدت استقلالها ؟ هل الحكومة الوهابية او الى حكومة الزيدية ؟
كان الامام يحيى يقول ان العمير كانت في الماضي جزءا من العربية السعيدة
ولذلك يجب ان تعود الى احضان امها اليمن !

اما السعوديون فقد بشروا من حاسهم (كتابا أخصر) دعموا فيه انه لا
توجد حدود طبيعية تفصل بين أمراء بلاد العرب فضلا عن ، وحدة اللغة
والدين وقالوا ان شبه الجزيرة العربية انما هو كل لا يتحرأ . . .

وان الذي أعطى تلك الحرب المعجبة التي قامت بين البلدين العريين طعنا
غريبا وساعد على تحط آراء المراقبين الغربيين انما كان الشكل الذي اتخذته
هذه الحرب والخائنة الخائنة التي انتهت بها . اما السب الرسمي الذي اتحد
ذريعة للسدة في الاعمال المدوانية فهو قبول الامام يحيى التحاء الامراء
الادارة الذين كانوا كانوا معاونة بعض أفراد من اليميين شيروا الاضطرابات
ويعملون على إثارة الفتن ضد الحكومة التي كان قد اشتهار ان السعود في
بلادهم وكان يشملها بحمايته .

لم يلتزم الجيشان في معركة حقيقية لان الجيشين الذين كانوا يقامون في
تهامة شد انواع الحر كانوا يتحاشون الالتحام في المعركة في السهل الساحلي

الحرق الذي يسكه قوم يشك كثيرا في احلامهم كل الاحلام الحكومة
صعاء . وآثروا التفهق الى الجبال تاركين الجيوش السعودية المدربة بحس
تدريب على حروب الصحراء . ترحف بطول الساحل وتتوغل في أراضي
تهامة دون ان تقاوموم حتى دخلوا مدينة الحديدة

ولقد كان من الممكن ان تنشب المعركة في تلك اللحظة عندما اخذ
السعوديون الذين كانوا تحت قيادة قائدين محكمين هما كرا اسماء الملك ابن
السعود . يشقون لانفسهم الطريق بين المرتفعات الى صعاء ومع ذلك فانه
كان يبدو للعالم عندما كان يسمع اسماء لغتس والثورات في الاقاليم ايمينية وما
اذيع من احبار عن موت الامام يحيى انه ليس هناك ما يجمع ابن السعود
من صم بلاد ليمس كلها الى بلاده

حقيقة امرعت الى ميناء الحديدة السمن الحربية التي رسدها عسهي
السرعة الدول العظمى التي لها مدح في البحر الاحمر ولكن لم يد ان هذه
الدول كانت متفقة فيما بينها على الاحراآت التي بحب ان تتجدها . ومن جهة
اخرى كان الناس يعرفون مقدار الصعوبات التي لا بد ان يلاقيها الجيش
الوهاني الزاحف وهو يحاطلر بالقتال وسط الحمال الوعرة التي لا تستطيع
الوسائل الميكانيكية ان تتحرك فيها أو تجد لها فيها طريقا يسهل لها التقدم
الى الامام .

وعلى حين نفثة « هب » الصلح وهو في الحقيقة صلح كان هرب من
الحرب لانه لم يكن ليغير الموقف الذي خلقه احتلال السعوديين للمسير تغييرا
يدكر فلم تفرض على الامام يحيى اية تعويضات مالية ولم يرغم على التنازل
عن شيء من الاراضي اليمنية ولكن الذي فرض عليه انما كان تسليم
الادارسة واطلاق سراح لرهائن الذين اُخذوا من رجال المسير .. ولا شيء
غير ذلك

وهذه المسألة هي وحدها ودون باقي الشروط هي التي اشارت اليها
الرسائل الى تنودات بين المدعوين لموصير . ولكن معاهدة لصلح التي

اطلق عليها اسم معاهدة القائف لم تكن الا انشودة من «شيد» الوحيدة العربية .

وقد أصبح لمطر شعربا عندما وصل لادارته مع اتبعيه الذين كانوا لا يقلون عن ثلثائة شخص الى الحديدة حيث استقبلهم الامير الشاب فيصل آل سعود أحسن استقبال وامرع لاميح حسن الادريسي مارسل برفية الى الملك ابن السعود يشكر له انفعه وكرمه . وقد رد عنه الملك السعودي قائلا : « حمد لله على وصولكم بصحة جيدة . واعلم بركاتي من كل ما سمعتم انتم بمصل الله وانه ممكن مطمئن اسأل والى ترى ان شاء الله الامام يترك »

اما باقى المعاهدة فيلقى ضوءا كبيرا على نفسي هذين الرئيسين العربيين وعلى الاحصاء نسبة الملك ابن السعود الذى يرجع اليه الفصل فى وضع بعض الوثيقة وروحها لاهما « رغبة » بهما فى وضع حد للحرب التى قامت لسوء الحظ بينهما ، والتوفيق بين الآلهة لاسلامية ولعصوب كرامته ، ورغبة شائها ولحافضة على استسلامها . فمررت بعدة معاهدة صداقة لاسلامية والاحوة العربية « وأن وعدنا بين الحاضر والماضى علاقات حسن الجوار لكي تتكون من المدين « وحده » . الحوادث مدحفة لاقامة سلام بين البلدين بوضوح مصالح الجزيرة العربية واستقلالها »

وتوقع هذه المعاهدة اسبب حالة الحرب وسرعان ما توسل بين البلدين وبين الشمس صبح دائم وصدقة كيدة والحوه اسلامية عربية لا يمكن أن تزعزع لاني مجموعها ولا فى أى جزء من آخرتها « . لقد اشهد المسكان الله على حسن نيتهما ، ورغبتهما فى التوفيق وجمع الكلمة والاتحاد والتعاون مرا وعلاية واعتري كل فريق من الفريقين المتعافدين للآخر تكامل الاستقلال والسيادة المطبقة على بلاده متبارلا عن كل حق سبق له ان ادعاه أو طالب به فى اراض أو فيما عداها .

وقد اتخذت كل الوسائل السديه لنى من شئها انهاء هذا الخلاف كبرمحت الحدود النهائية بين اللادين مكل دقة ووضوح مركز القائل لمقيمة على الحدود

من لمحية القابولية ونعهد كل فريق من الفريقين المتعاقدين بأن لا يقيم حصه باعلى مسافة تقل عن خمسة كيلو مترات من حدود الآخر وأن يسحب حدوده من الاراضى التى عثر بها من بلاد الطرف الآخر

على أنه توحد فى المعاهدة بعض مواد قد يبدو لأول وهله بها نصوص شكلية لا قيمة لها ولكنها فى الحقيقة ذات أهمية عظمى ومغرى كبير ومنها هذه المادة . « يقرر طرفان المعاهدان المرتبطان بروابط الاخوة الاسلاميه والحدسية العربيه أن أمميهما انما هى أمة واحدة ، انهما لا يصمرا أن اشرا لأحد ونهما يعملان على رفعة شئون الأمة تحت ظل السلام والهدوء وانهما سيدلان جهديهما فى كل وقت لخير بلاديهما وأمهما دون أن يحولا الاعتداء على أحد . وفى حالة اعتداء أحس على اراضى أحد الطرفين يلتزم الطرف الآخر بتقديم المساعدة الادبيه الممكنة وبالبدء فى معاومته الطرف الآخر لمعرفة حسن الطرق لصمان سلامة أراضيه وتجنب الاصرار به وبالاتساع عن القيام بأى عمل يمكن أن يصير بأن من شأنه معاونة المعدى الاحس »

« ويقرر كل فريق من الفريقين المتعاقدين انهما باستعدادهما للمباح لمندوبيه ومثلية فى الخارج تمثيل بلاد الطرف الآخر فى أى أمر وفى أى وقت عندما يرغب الطرف الآخر فى ذلك ويكون مفهوم ما أنه متى وحد اشخاص من الفريقين يقومون بهذه الوظيفة فى مكان واحد يكون من الواجب عليهم أن يتشاوروا لكي يوحدا مسلكهم لمصلحة البلدين والشعبين اللذين يعتبران كلهما أمة واحدة ويكون مفهوم ما كذلك أن هذه المادة لا تقيد فى شىء حرية أحد الفريقين فى مزاوله أى حق من حقوقه ولا يمكن أن تفسر بانها تحدد حرية لطرف الآخر أو تلغيها »

وسرعان ما ادهشت هذه المعاهدة العالم بأسره للكرم والتسامح اللذين أظهرهما اس السموذ والذين رادا فى رفعة مقام « بالليون الصحراء » وعلو مركزه فى نظر العالم العربى اذ أن هذه المعاهدة بدأت تعتبر البداء الاول أو البداء الرسمى الجديد « للوحدة العربية »

ولا حاجة لتفسير اعتدال ملك الحجار بصعوبة لقاء تهامة في يديه بدون احتلال الحصنة اليمنية كلها أو بالخوف من تدخل الانجليز ومعارضتهم في انشاء دولة عربية كبيرة متحدة في بلاد العرب . وربما كان مثل هذه الاعتبارات تأثيره في محرم الحلاب . وعلى كل فان ابن السمود لم يدع الفرصة تفلت من بين يديه تلك الفرصة التي سمحت له وأخذ يبت افكاره وآراءه في المسألة العربية اما فكرة تحقيق (الوحدة العربية) التي لم توجد قط في غير الوقت الذي استطاع فيه (الرسول) تحقيقها فقد كانت فكرة الشريف حسين الهاشمي أمير مكة وملك الحجار الأسبق الذي عمل على تحقيقها في عام ١٩١٦م بعد أن أصبح ملكا على الأراضي المقدسة كما دعى بها أيضا . أراد العمل لاحراجها الى غير الوجود انه الملك فيصل الذي ارتقى بمساعدة الانجليز عرش العراق .

وتذكر نقول بان هذه الفكرة كانت حتى الآن فكرة الملوك الهاشميين قبل غيرهم من العرب . ما الآن دعوت الحسين وفيصل واحتماهما من مسرح سياسة عربية بدأت المطامير بالوحدة العربية نحو اسس السمود وينظرون اليه بصفتهم لرجل الوحدة الذي يستطيع تحقيق حلمهم الذي لا أدري ما الذي يجمع العرب جميعا من اعبار ملك الحجاز الذي هو أقوى مركزا واحسن استمداذا من الملوك الهاشميين . الشخص الوحيد الذي يستطيع تحرير الشعوب العربية الأخرى من كل نوع من انواع الوصاية الأجنبية وإصمهم لآمتهم وحدثها وكامل استقلالها ؟

ويجب قبل كل شيء ان لا يغيب عن بالنا مركزه بوصفه رئيس الدولة اوهابية وقد قام ابن السمود بمطوحاته باسم الدين وسكان رحاه يدعوون الى النصر والى الجهاد والى الاستشهاد في سبيل قصيتهم بموس راضية مطعنة كما كان يذهب المسلمون ايام نشأة الاسلام للجهاد والاموت في سبيل الله . ولكن هل يستطيع الدال امرية الى اصوات طراف من المدنية بعد احذنا كها بالمدنية العربية أن تقبل الحسرة المعروضة لصارمة الى بحرض المتطرفون الوهابيون ؟ اراد ابن السمود بمعاهدة الطائف ان يطمئن هذه الدول من هذه الداهية

وأن يقعها بأن لا يحشى شيئا من ذلك . وإن عارة (البلد أن أمة واحدة)
التي وردت وتكرر ذكرها أكثر من مرة في هذه (المعاهدة) إنما هي برتمةج
لا يبرر أي تحفظ . وفصلا عن ذلك قلنا فقد قدمت على سبيل المثال في اتفاق
عقد بين البلدين مسلمين عربيين يختلف أحدهما عن الآخر في مذهبه لديني
كل اختلاف .

ولقد كان للعقيدة الدينية حتى اليوم المكان الأول في الاعتبارات
السياسية عند المسلمين العرب . أما الآن فيجب أن نحصص العقيدة لفكرة (الأمة)
وقد يكون من الصعب القول بنية نفس من نفس لتبيين أن يوقعوا في معاهدة
الطائف على (الداء) الحديد للوحدة العربية . ولما لا شك فيه أن هناك نارا
من المحافظين يعتقد في ضرورة بقاء هذه المعاهدة ديمتها . في أنها عقدت
لتجنيب البلادين وبلايا الحرب ولعدم سبك دماء المسلمين لأن هذا الأمر
لا يعرف ما هي (الوحدة العربية) ولا ما هي (الأمة) لأن التبيين يبدون
وسيقون يبدون إلى ما شاء الله أن يبينوا كان رؤساؤهم المنتصحوون يرتطلون
بروابط الصداقة والمحبة ذهب ثلاثة من التبيين المتعصبين لاداء عريضة الحج
في مكة وحولوا برعونه وعبادة وطيش . الاعتداء على حياة الملك ابن السمود
أمام الكعبة . الإيمان هو عندهم وسيبقى دائما إلى التبيين وسوف يستمر
مسيطر على أفكارهم وعلى مصالحهم كلها .

ولكن بما لا شك فيه أن هؤلاء اصبحوا أقبية في اليمن ويوجد إلى
جانب هؤلاء كثيرون يرون في معاهدة الطائف أساسا صالحا للحياة هادئة مستقرة
ووسيلة ناحية لتقديم الدول العربية وسعادتها وذلك لأن الفكرة الوصاية التي
تصممها والتي يودى بها إذا لم تكن من شأنها تحرير البلاد العربية الخاضعة
للحماية والوصاية أو الرقابة أو الانتداب الاحيي فأنها على الأقل سوف تشجع
على مقاومة ماقد تقوم به الدول الاحدية من اعتداءات أو محاولات لخلق
الحرية في أي بلد من البلاد العربية .

ويمكن القول بأن ابن السمود قد اصبح في الواقع من الآن فصاعدا هو
لقائم على رأس حركة (الوحدة العربية) وهو الذي منحها (دستورها) الحديد

في (معاهدة الطائف) تلك المعاهدة التي اراد أن تكون (لمح العساح) الذي يهتدى بموره الوطنيون والتي افترج لعقدها بزولا على دعوة مفتي القدس وكبار الشخصيات الاسلامية .

ولقد اصبح مقامه ونفوذه كرئيس ديني يمتد الى خارج نطاق حدود مملكته الواسعه . وان ريادة ابنه الاكبر بعد عودته من رحلته في اوربا لرؤساء العرب في فلسطين وشرق الاردن لا تخلو من مغزى عظيم . كما أن زواج الملك السعودي من اسة الزعيم المشهور بوري الشعلان رئيس قبائل (الرولة) في الشام له شأن كبير لانه اعتاد أن يقوى سياسته الخاصة بمصاهرة القبائل الكبيرة حريا على سنة بني المسلمين ا

بلاط يحيى بن محمد

ليست الملك اليه « حكومة » وان كان له « الامانة » . وهذا ما يلائم حاله
وهو كثره عام الملامة فهو ملك او توفرائى صقل حازه عظيم الخبرة والرجل
الذي يعتمد عليهم ويضع ثقته فيهم والذين يحارهم لمهوتته وهو عليم بما
يحاك حوله من الدسائس ويعرف طرق الوفاة منها كما يعرف كيف يقادرونها
ويفيد منها الى اقصى حد ممكن .

وكثيرا ما يبين الامام « وزراء » ولكن هذه الانقلاب التي يخضعها عليهم
ايست في الغالب سوى ألقاب شرف ولا شيء غير ذلك فاحد أولاده هو
وزير المالية ويعلم الناس جميعا أن الشؤون المالية في اليمن أغنيهم بها الامام
بنفسه ويظهر عليها بيقظة وحذر كما أن ولدا آخر من أولاده هو وزير الملو صلات
واسما في حجة الى انقول بان حركة التنقل في اليمن محدودة الى اقصى حد
وتقوم في الغالب على مهور النقال وفوق متون لائل في اقوال لقديمة
الطبيقة . اما البريد منه رغم نشاطه لا يزال في عهد البسدية كما أن التلفراف
لا يدع مجالاً للاهتمام بشأنه .

على انه في الظروف الاستثنائية اذا ما حدث الحد واقعى الأمر اتحاد قرارات
هامة - يجمع الملك محبا بهم وجهاء البلاد وعلماءها وذوى الرأي فيها ممن
عرفوا بالخبرة والحكمة وبعد النظر واصالة الرأي لكي يبحثوا الموقف من
كل نواحيه وانكى يشتركوا معه في تحمل المسؤولية ولو أنه قد حرت عادة
الامام أن يعمل في أغلب الاحيان ما يراهى له . فالحكومة هي الامام
والامام هو الحكومة وهو يصدر قراراته في كل أمر من أمور لدولة حل
أو هان أولا تأول دون أن يترك لاحد غيره عشاء لهب أو استكبر ومع

ذلك فانه ليس من حق معاوية أن يشغلوا الوظائف بدون أن يؤدوا عملا
توارى المرتب الذي تقاصونه من مال الدولة . وان ملكا مثل يحيى بن محمد
لى اشد الحاجة الى الرجال الادكيه الموثوق بهم الذين همون اخلاقه الحق
الفهم ويتوجهون اليه بمخاوتهم الحكيمه بدون أن يظهر واهل انهم يصالح
أو ارشادات والذين يعرفون كيف يجعلونه يصدر أو امره ويحمونه على تنفيذها
وينظرون الى كنهه دون أن يشغلوا عليهم ما ندفع عنه وحمايته والذين يتحلون
بفصيلة الاعتدال والانصاف

وحذارة الامام اعماهى في انه فهم حقيقة هؤلاء الرجال وعرف كيف
يعثر عليهم . وهؤلاء لهم ايضا لقب « اورره » ولكن من العث محاولة
المشور على ورااتهم (١) اعنى دواوينها ودرجاتها البيروقراطية . أما مراكرم
فهي وسائد « لدروان » اتى محاسون عايب في حصرة مليه بهم . وأما
سكرتاريوهم فيؤخذون من بين الكتب الذين تحمسون في انهاء (المقام)
وغرف الانتظار فيه .

وقد استعفت بعد الخاتمة الاولى الى حسبها مع الامام لتقرب من
كدر لشخصيات الذين يحيطون به لان الاستداء بالمعرف بهم يعتبر محالفة
للاسط قواعد الآداب وبو ميس الابهة لان « احب الصيف أن يمد شخصية
« رب البيت » قبل أن يشخص آخر » وقد تمت هذه العادة من ارمان
بعيدة حتى عند سمر « العرب لدى المهالك الاوربية فان سفير « باشا طرابلس
العرب الذى رسل الى مدينة كوسياحى في منتصف القرن الثامن عشر رفض
استقبال كبار الشخصيات الذين جاءوا لتحيته ولتمنيته سلامه لوصول ولم
يشأ أن يتحدث الى أحد منهم قبل أن يستقبله وزير الدولة .

والى اصح سواب كان كل من يأتي لزيارة صغها يصطر للقاء في مسكه
حتى اللحظة التي يحظى فيها اشرف المناقاة الملكية فاما كان الملك معترف

(١) حقيقه زاور ار اثنين دواوين خاصة هما : معدها وكتابه

المراح أو حرج إلى الريف أو مشغولاً بماى عمل هام من أعمال الدولة أو إذا لم يكن مستعداً لاستقباله في الحال وحب على الصيف المسكين أن يسجن نفسه سجيناً كان يطول في بعض الأحيان ، تستمر مدى أسابيع كاملة .

ولقد تحدث في بادئ الأمر عن القاضي عبد الله العمري وقابله عند عودته من المسجد بعد صلاة العصر وكانت تحيط به جمهرة كبيرة من السادة ويسر في أثره خلق كثير من عامة الشعب ومن حلف هؤلاء « ركاى » عسكر المحام جواده الأسن ولا ظن أن القاضي عبد الله يحب هذه الاستعراضات أو يميل إلى هذه المظاهر وإنما كان حرت العادة بذلك إذ أنه لا يليق بشخصية أو موظف كبير المقام أن يخرج في طرقات حشود دون أن يكون في مصيته « حرس شرف » كهذا وكما علامقام صاحب الوطنية كلما أراد عدد حاشيته أن يتبعه والتي تسير في أثره أتى سار .

والقاضي عبد الله هو الذراع الأيمن لحالة الامام ويسميه بعض (وريز الداخلية) كما يحلق عنه البعض لقب « رئيس النوراء » ولقد استقضى في هو صغير كان الدور تنسل إليه من حلال زجاج الرحامى لدى كان يلقى ضرها على الكتب المصمومة في العيون المفتوحة في الحدران العارية . ودار هذا الوريز من أجل ما رآه من الدور في العاصمة السنية ويقوم فوق سد « غيل الاحود » الغليظ إلى حد أن تكاد تحجب مياهه طول السنة ومع ذلك فانه عندما يمتلئ بالأمطار إلى تهطل في فصل الربيع يشق المدينة إلى شقين ويعرقل حركة المواصلات وهذا مادعا الناس إلى أن يقيموا فوقه قنطرة صغيرة وعندما رأى اليميين هذه القنطرة قد قيمت وانفعوا بها وحدوا أن فكرة اقامتها لا بأس بها ولا ضرر منها ولذلك تركوها حيث هي

لم تكن زيارتى للوريز عبد الله سوى عمل من أعمال البروتوكول لأنى لما كنت أعرف مبلغ اعتدال هذا الوريز وإخلاصه لميكمه لم أشأ أن أثقل عليه أو أقدم له شيئاً من الأسئلة المحرجة التي أكنست لسبعينين شهرة « الثقلان » وقد كان معاليه يتحدث إلى وهو يتسم ابتسامة قارة لم تكن لتشجعتنى على

الاقدام أو الحركة أو على الأكثر من الأسئلة وكان يتكلم بصوت هادئ لا تتغير سرعته لم يرفعه لحظة واحدة فنول مدة حديثنا وكان الحديث بيننا يجري بسلا وانسراح في موضوعات شتى لأهمية لها على الإطلاق والماضي عند الله رجل فطن لبيب معتدل لا أثر فيه للتعصب يستطيع فهم الآراء العربية ويقتلها قولا لا حسا ودا كان في أثناء حديثه يمسك بكتايبه قبضة سيفه المتمدل فوق كتفه من حزامه الخلدى الموشى بالذهب فانه لم يكن يفعل ذلك الا لانه لم يعود لاستعانة في كلامه بالحركات والاشارات كما يفعل البعض عندما يتكلمون ، ولما سأله عن الاحبار الخاصة بالموقف الذى احاطى به فى استطاع ان احدث كلما يريد معرفته في هذا الشأن عند وزير الخارجية .

لما ذاك الوزير قد سبق لي ان رايته في « الديون » الملكى ولما كان الملك يتحدث الى عن صوم رمضان بذكرت منه عبارة انتم لها المجلس كله ان قال لي وهو يعمس طرف عينه ان العيام فيه فائدة للصحة ولو ان هناك احد الاثراك يرى ان فيه شئ من القسوة ، لصرامة ، ولما كنت انتقم نظرات الجاسين مكسى ان فهم بسهولة ان « احد الاثراك » هذا لدى بعضه الميت اى هو راغب بى وهو رجل لطيف وردي اللون تحبب بوجهه لحبة بيضاء مستديرة ، كان مجلس لي حاسى وهو يحكى كتبنا يديه في اكمام ثوبه الفضفاضة ونظر الى هو ايضا عطف عينه وقال : هذا هو ما اعتقده ا

لما البيت الذى يسكنه وزير الخارجية فقد سكنه الامام على اثر عودته الى صنعاء قبل ان يبنى « بيت الشكر » . وفي هذا البيت يستطيع الانسان - والله الحمد - ان يجلس فوق مقاعد مريحة وان يتحدث كما يشاء بغير حاجة الى مريحى

ووزير الخارجية الذى هو احمد الديوماسيين الاثراك السابقين كان قد ارسل الى اليمن في مهمة خاصة بعد ان قام بوطيعة قنصل في عدة مدن من مدن آسيا وأوروبا لما جاء الى اليمن ارتبط بارتق روابط المودة والصدقة مع الامام يحيى الذى استنقاه الى جانبه بعد ان حل الاثراك البلاد اليمنية وترحوا عنها ولقد بقى راغب بك من ذلك الوقت الى الآن عند صديقه ولا يوجد من هو

أصلح منه في اليمس في الوقت الحاضر للقيام على إدارة لشئون الخارجية في هذه الحكومة الجديدة .

ولقد توطدت الصداقة بين راجب بك والامام مع مرور الزمن وخاصة بعد أن روح استيه لولدين من أولاد الامام . ورعب بك رجل مثقف واسع الاملايح لطيف المعشر دمه الخلق لا يعتار غرييون عنه في شيء سواء في عادته وفي مساعيه . وتحت ثوب اليمس المصروح من الامام الذي يرتديه ينتهي قميصه المخطط نفيه حول عنقه تشبه ليدقة ولاسقمه لاه رباط الرقعة حتى يوحذتوفيقا حديثا بين اللبس الاسيدي واللباس الاوروني . وهذا لم تكن السمون الطويلة اتى وصاها راجب بك في اليمس لخدمته الحسين الى أوروبا وقد حدثى لسرور وصار حتى يرسمه الشددة وعمره على اقيم رحلة لها في قرب درصة على أن يكون ولد مسديه . من فيها هي ببولي ثم يعرج على روما لانه يريد ان يستعيد في بولي ذكريت سديه المحضرون عندما يد أولى خطواته في اسلكه قديمي وو انبييه رمد اعترف الى كبار شخصياتها ورعه .

ويظهر راجب بك جدا صادقا ليمس ورعة شديده ، يعمل على سعادته دون أن يدور عليه التعمق والاحتياط الذي يديه في احاديثهم أهل هذه البلاد انفسهم فيقول : « ان عمل على رقة هذه بلاد المحسنة وفي هذا جهد شاق ولكنه شاق ليددا قد اعياه ضعف وان كان الوصول الى هذا امر صيحتفاب على الكثير من المعاصي . عفى الكثير من العقبات وأولى هذه العقبات هي المقومة المقيمة والمر قبل ان يصعب المتعصون في طريق كل تجديد . وليس من شك في ان يصب علينا ان عمل هذا الكثير لان كل شيء يحتاج الى اصلاح بل يحمى حقه من حديد . وان انشاء لشرق التي قطعتموها والتي تترك صعاء بالحديد وعدد اعمال ذات أهمية عظمى قنابها ولكن السير فيها لا يزال شاقا متعبا بعض الشيء ولا يمكن انقول من يطارقها كثير ون

ولكنها على كل حال تشير الى بداية عهد جديد له ما بعده فاليمين المترددة قد أخذ يشق لنفسه الطريق للمشاركة للمدنية وسوف يكون تقدمه ونجاحه اليوم اسهل واسرع من ذي قبل .

ولقد كان الامام ولا يزال عدوا لاتفاقات الاقامة لانه يرى ان ايمان سبب طريقه لنظم حياته الخاصة ، تقاليد شعبه وسبب احواله وظروفه ليس في حالة تسمح له باستقلال المبتدئين الاحاب أو بارسال معتزلين الى الخارج في الوقت الحاضر على الأقل ، ولا تزال تنقصا المدرجات والوظائف لظننا ان اتصال والدنوماسي ولا يحسن ماسكنا ما بعينه كل مدح من الالهة لعظمى على علاقاته الدينية ، انى لعلى يقين من ان هذه المسألة يمكن إعادة فتحها معه في أقرب فرصة ولقد بدأنا في اذلال اصلاحات حديثة على طريقة الحكم في بلادنا بقصد التجهيف بقدر المستطاع من الاعضاء المتقاة على كاهل الامام والتي رادت على حدود طاقته ولحمل الوسائل الادارية احدث وكثير مرونة مما هي الآن كما يجب أن نعمل على تقسيم لعمل الاداري ونورمه بانشاء درجات ودارات ذات رؤساء مسئولين »

ومن المحاولات التي شار اليها راعب تلك في حديثه وانى نعمت لحر بلاد اليمن خارج دائرة القرون الوسطى نكسنا أن يذكر على سبيل المثال ما أدخل من التحديد على لفظ العصبى وأهم نقطة في هذا الموضوع هي الخاصة بالاحاب الغير المسلمين . ويهتم الامام كثيرا بالاحاب المقيمين هنا ويكلف عدا كره بالاعتناء بمساكلهم وبأشهر على راحتهم وطمأنيتهم كما أنه يقدم لهم حرسا خاصا يصحبهم في رحلاتهم وعقدوا منهم . ولقد لقيت انا نفسى لظننا كبيرا ومحاملة عظيمة من جانب السلطات اليمنية وعظما كبيرا من جانب الشعب

وقد حدث هنا ان حكم القضاء ناداه مسلم من حنيفة حنيفة وهو محتال شهير ونصاب عالمي ومقامر كبير له عهد طويل وسوانق عديدة في النصب والاحتياال وفي القصائع التي ارتكبتها في كل بلاد لشرق وقد اتصل بأوثق

الصلوات السيد دريس السوسى أمير بركة السائق وروحه من أمته ولكن لم يلبث هذا أن احتلف معه وتلقى بنته ودخل معه في قصدا بطويلة

ولما قدم هذا الرجل إلى بلاد اليمن ، لم يكن أحد يعلم من أمره شيئا ، استقل استقبالا حسنا ولكنه استغل هذا الاستقبال الذي قبل به والحفاوة التي لقيها لكي يمدح بعض الانجليز المقيمين في مصر ، وفهم به أنه حصل من الامم بحى على امتيازات عظيمة منها امتياز البحث والتقيب في اراضي اليمن واستغلال ماحم لبروك ، ومرعان ما تلت في القاهرة شركة برأس مال كبير لاستغلال هذا الامتياز وقد نجح هذا المحال في تسلم أموال طائلة منها يتبعه أنها تلزمه كما هو مذهب في مثل هذه الحالات « تربية عمليات كبرى » ولإقامة بعض العمليات لتقديم هذه الخالة الامام ورجال بلاطه وورثائه ثم جاء اليوم الذي اكشفت فيه الابعية وعصائمه وهكذا استقل « لقصر » (الذي فيه سكن صعباء) حبيبا « فوق العادة » تخلف كل الاختلاف عن كل من فيه من « النزلاء »

وقد تركت المحكمة للمرة الأولى عند السيد في محاكمة همد الصاب أسلوب لمادى وسارت على طريقة اخرى تماثل الطرق المستعملة في المحاكم لاوروبيه . وقد فكر القضاة أيضا في السماح للاوروبيين المقيمين في صعباء بحضور هذه المحاكمة . ولكن راغب بك احدى من بعض رؤساء الدس اعترضوا على ذلك لان المسألة خاصة بمحاكمة أحد المسلمين .

فما المحاكمة وجميع ما حدث في الجلسة ، نص الحكم فقد نشر كله في الجريدة التي تصدر في مدينة صعباء .

ولكن كيف ذلك ؟.. هل توجد حرائد في اليمن ؟

حقا ان الشيء الوحيد الذي لم لاحظته في العاصمة اليمنية والذي لم يخطر لي بال هو انه تصدر بها جريدة . ولى العذر في ذلك لان جريدة (الايمان) ان هي الا جريدة صغيرة (تصدر مؤقتا مرة في الشهر) رغم ان انما سبخت

من عمرها ثمان سنوات .

لقد استطعت فيما بعد ان ترى بدهشة عظيمة في (معرج) عامل صعاء اللطيف المردحى بالزوار اعداد الأخير من هذه الخريدة اليمينية . وكان هذا اليوم الكبير مكتظاً بمجهر من السادة الاشراف والاعوان الذين كانوا مضطجعين فوق الوسائد المصقوفة حول حدرانهم وكل منهم يحمل معه مسمرة وحزمة صغيرة من اوراق (القات) وكانت ترى فوق المائدة الواضحة لى حكايت بوسمها كان عدة ترحيلات مكركرة تتجده بحرايميمها الحديدية الطويلة المتعددة الالوان الى كل الجهاد . وكانت احداها المرداة شرابات حمراء كثيرة ولا يقل طول حرمومها عن خمسة الامم تعمل الدحراى بعد ولكن من اركان المفرج .

اما لشخص الذى كان يتحدث أكثر من غيره في هذا الحميم و الذى كان يقف في اثناء الكلام وقفات منهيرة رثماً مصق من لآخر والمصققة الهندسية فانه كان قاصياً من قصاه اليمن وكان يعظم في حديثه بصوت غير مفهوم . رى هل يحدث هذا من مصعب القات ؟

لقد كان الرجل يحدث الحاضرين عن السياسة الانجليزية اتحاداً مسانداً الامم كن المقدسة ولكى كنت في ثناء هذا الحديث في شغل عصبه وعن حديثه ينظر في صفحات (خريدة الابرار) لاربع الى حكايت حرومها لرحوبه يهوى ويسب الى الخيرة التى يحس بها الاميون اتحاداً كناية عنى انى استطعت ان افهم بعض من كانوا حاضرين الى جانبى ان مقاطع الاساسى كان تلخيصاً لموقف الدولى الذى كانت تله (الحوادث المحلية) عما فيها من مقابلات الامم وحار تعيدات الموططين وتقلاتهم ورفيتهم ثم الاشارة الى قدوم القادمين وسفر المسافرين من كبار الشخصيات وذوى الحيثية ثم « الوفيات » ثم تلى ذلك كله احبار بعض (الحوادث السوداء)

اما الاشراف السوى في هذه الخريدة فهو دبالان في اليمن ربما يعرف

من نصف جيبه الخلفى في خارج السلاد . وتقطع جريدة (الايمان) في
المطبعة الوحيدة الموجودة في اليمن وهي مطبعة صغيرة كان قد أنشأها
الانراك في أيام حكمهم للسلاد . ومدير الجريدة ومحررها المسئول هو
« القاضى عبد الكريم احمد مطهر » لدى هو في الوقت نفسه وزير العدل
في الحكومة اليمنية .

ومن المحمل كثيرا ان لا تنجح للحكومة اليمنية الرخصة قريبا لا لشاء
ادارة للرقابة على الصحف في اليمن !!

أحمد سيف الإسلام

اهتم الامام يحيى اهتماما كبيرا بالبحاد ذرية كبيرة فله اليه م اربعة عشر ولدا ذكرا وهذا ليس بمعناه انه لم يرق انثى ولكن لم يجر العادة ان يتحدث الانسان في النحى عن النساء لان هذا امر غير مرغوب فيه وربما كان في ذلك شىء من الممانعة ولكى نطن ان ابى يحيى لم يبق سالىع كثيرا في تحدثنا كثيرا بما يحب عن النساء

هذا وان رواء الاحبار والمحدثين الذين يكثر عددهم في « المصرج » النجبية والذين لا يحبو عنهم بحس يحمسون أصواتهم اذا حدثوا عن حريم الملك يحيى . وقد حرت عادة الامام عندما يريد ان تروج من روعة حديدة ان يصريح اطلاق احدى زوجاته الاحريات لى لا يحلف بصوم الشريعة الاسلامية التى لا يسبح الزواج من اكثر من اربع نساء . امام مطلقة لم تتوكل على الله » فيجب ان تنقى في حدرها رقية امام حياتها بدون ان تتزوج من غيره حتى ان الامام لم يستعمل حقه في الطلاق على اطلاقه كما يفعل ابن السموذ الذى زوج من نساء كثيرات رغبة منه في مصاهرة اكثر عدد من القبائل العربية الكبيرة الشأن وذلك لغرض سياسي دعى اليه وهو تقوية مركزه وشد ازوه بهذه المصاهرات .

وفي داخل نطاق « المقام » على مقرنة من المقصص الذى يحل في الامام لمشاهدة العرس العسكري يقوم « برج الامراء » وهو ساء عجيب الشكل كله شرفات ومصاطب طريفة وقد اعد لاقامة اساء الامام الذين ليس لهم مسكن ثابت في العاصمة . « قد اقام فيه الامير احمد عند عودته الاحيرة الى صنعاء .

مما عودته من الامام النكر فقد كانت حادثة اهم من ارضى اعداءه ليعنى كل الاهتمام وكان حديث الخاصة والعامة على السواء لان سيف الاسلام احمد يعيش من عدة سنوات بعيدا عن العاصمة في اشل في مدن حربية فاسه احتفظت وبها القائل الزيدية بعاداتها القديمة كاملة غير منقوصة فاقام اولاً في «حجة» التي تتكون من عدد من المبانى الحصينة ونشرف من ارتفاع لف وحمائة متر على مسطحات طعنة فوق مربع محروط شكل . ويمكن للمول بان هذه المدعة الحصينة ذات الالهة السياسية والحربية واهى لاحصن كبير وتبدو الحياة فيها كأنها الحياة بداخل إحدى النكبات . عندما يحضر احد الاحباب لزيارتها ويقترّب من بابها يصفع العساكر في اواقهم ولا تمتح مصاريح . وانما الا عندما يحس الثمنه بدق الملول صدور نصريح بالدخول

انتقل الامير احمد من هذه المدينة الى (صعدة) وهي ايضاً مركز عظيم دواً أهمية حربية وتجارية عظيمة . ثمراً لوقوعه على حدود محد وقد كان الامير مضطراً لقايمته بين رجل حاشد ورجل الاقوياء الشكيمة اشداد المر من الدين تتألف منهم قبيلة من عدة قبائل زيدية و اكثرهم عدد يستطيع ان تقدم لليمن في اوقات الحرب جميع الف من الجنود الاقوياء . وتجربى اشجعان .

والامير احمد رجل قوى الشكيمة شديد المراس وعجرب من الدرجة الأولى يحب لجمال وعمل الى قتال . وعندما زيد احصاع فائل الزرايق النائرة في عام ١٩٢٨ اشتد غصه عندما سمع ان الامام قد عين غيره لقيادة الخلة في اول الامر وما زال يلبح على ابيه حتى ولاه قيادة . وكان المشروع صعباً ولمهمة ثقيلة لان قبيلة الزرايق شديدة المراس قاوم رجالها الاتراك ربما طويلاً وكانوا انتمصهم لمذهبهم الشافعى يرفضون مد ايديهم لمصلحة الريديين سكان لهصب والمرتمعات . كانوا وجودهم في (بيت الفقه) كان يمرقل المواصلات بين احديده ومخاضاً عن ان اقامتهم على له حل كانت تشجعهم على ان يكونوا في عهد لاجيان من قطاع الطرق ولقرصان

قاد الأمير أحمد رحاله الحلبين في ذلك السهل المحرق ضد قبائل الزرائق المتوحشة ورحلها الانصاف المرأة الذين تعودوا احتمال العواصف والمياه والقتال في الاراضي الخرداء القاحلة واستطاع بعد قتال عسير معهم أن يقهرهم ويهدد شملهم وأن يعود رحاله إلى البصر وعاد إلى صعدة ظافرا منصورا واستقبل عند عودته استقبالا مستقبحا نظير واحتفل به احتفالا كبيرا لم تشهد عاصمة اليمن مثله على أنه لم يبق فيه ذولا . وقد قيل ادراك أنه قام بيه وبين والده شي من سوء الفهم كان من الممكن أن يتقدم ويرد في ثناء الخلاف مع الجحار حول طريقة لدفع عن البلاد التي ارتضى لأمام السير عليها ونسب الامتيازات الكثيرة التي منحت للحاكم السعدي

وإذا كان حقا ما قيل من هذا الخلاف وثبات الخان انه انتهى الآن ولم يبق له اثر لأن الامام قد حدثني عن انه لا كبير مكاتبة ثم عن عظم حبه له وعن اعجابه لشجاعته وشدة اهتمامه به . لأنه هو المتطارف في بحامه على عرش اليمن وعلى أمانة الزيديين .

وفي الحق ان الزيديين لم يكونوا نظام ولا به لعرش ولا يتمتعون به ولا عهد لهم به من قبل لانهم لم يكونوا ملكية ولا يحكمون . وعمل الأمير أحمد لقب (سيد الاسلام) كقبيلة اخوته العديد من كلاً من حيدر وكلاً من علي وعبدالله اللذين ربما كانا أكثرهم حركة وذكاء وسعياً في شربهم سكر صبيحاً وكافاً بين محسن واستغنى اللذين لا يزالان يلهان فوق ركبتى أبيهما الوفور الحنون .

ولا يبدو أن الامام يقصر بعض اولاده على بعض وانما كان يقل فيما مضى انه كان كثير الاهتمام بالامير عبدان ابنه وأمه كان يؤثره على اخوته وكان هذا الامير دمت الخلق مثوقه الذكاء شيطاً مؤثراً واسع الاملاخ وكان قد ارسله والده في عام ١٩٢٨ الى مدينة روما لرد الزيارة الرسمية التي قامت بها لبعثة الايطالية لصعدة . وعندما عرق في ميده الجديدة وهو بحول الله وصديق له سقط في الماء وكان على وشك الغرق رثاه الامام يحيى تقصيده عصياً تقيص حزناً وأسى . على انه لا بدت البصر بين امه الامام الموحودين في قيد الحياة

أحد أكثر من الأمير أحمد . وليس صحيحاً ما يذيعه البعض من أن هذا الأمير ماهو الاحدى شرس سبيء الخلق قاسى القلب ومن المحتمل أنه كان لصلاته في الماضي بعد المظاهر ولكنه بعضى الزمن ومع تقدمه في السن بعد أن ربي على الأربعين قد نهدت أخلاقه وتغير الكثير من طابعه . وهو يهتم كل الاهتمام بالمسائل الحربية التي يكرس لها معظم أوقاته والكثير من جهده وبفكيره . هذا هو أنه لا يعكس القول بأن أفكاره ليست منصرفة الى غيرها من المسائل وربما كان يقصه بعض « الاحساس بالعالم » الذي يقول بأن أخاه محمداً كان قد اكتسبه معرفه الى ايطاليا لانه رغم كل ما قيل فيه رحل واسع الادراك متوقد الدهن حاصر البديهة اذ انه عندما حصر الى اليمن العالم الاثرى الشهير « كارل واتينس » لانعام اكتشافاته الاثرية بالوسائل القليلة التي كانت بين يديه ربما كان الأمير أحمد هو اليمى الوحيد الذى تتسع أعماله باهتمام . ثم انه أحد معد ذلك في استكمال المحاث العالم المساوى في « غيان » وفي « نخلة » بنفسه حتى كشف عن أشياء عظيمة القيمة منها مثل حجرى من لبره نر جميل الشكل متقن الصنعة الى حد بعيد .

ولما عاد الى صنعاء رأس اللجنة التي شكلت لادخال الاصلاحات على نظام الحكم في اليمن وقد وصفت هذه اللجنة الاسس لنوع من الدساتير سوف يشكل بمقتضاه عدد من « المجالس » في البلاد وسوف يكون في اليمن « مجلس سيامى » لمبحث الشؤون الداخلية والخارجية « ومجلس حربي » يضم كبار قواد الجيش « ومجلس شرعى » يتألف من العلماء الزود والشوافع على السواء للنظر في المسائل القضاية وسوف توضع مبرانية للدولة وسيعد تنظيم المحاكم الشرعية « بشاه محكمة الاستئناف ومحكمة للنقض » الارام كما ستشأ لجنة لتنفيذ القوانين . وقد تقرر أيضاً إعادة النظر في كافة الوظائف الادارية واعاد المواطنين المرتزقين وغير الاكفاء الذين يتولونها وزيادة كفاءة الجيش ومقدرته بفرض الخدمة الاحصارة على كافة أفراد الشعب والحصول على تسليحة حديثة ونشر التمدد رادعته بين جميع طبقات الامة وتنظيم الادارة المالية وتسهيل المواصلات واصلاح الطرق واتحاد التداير اللارمة للقيام باحصاء طام سكان البلاد

ولقد كان من شأن عودة سيف الاسلام محمد الى صنعاء ومسألة ادخال
الاصلاحت لمقترحة ان جعلت « السادة » يقرصون كل القروض ومن قائل
ان الامام قد لعب من كثرة مشاغله وانه يصكر في قسط أوفر من الراحة في
قصره الخديد الذي شيدته أخيراً في « الروضة » ومن قائل ان الامام يرمى الى
أن يسقل تدريجاً الى يدى أكراسائه ادارة البلاد وهكذا يتيح الفرصة لسيف
الاسلام محمد للقيام بحملته وتقوية مركزه وثبتت هيئته في العوس والسكنى
بعده إلى من عظم ينتظره

ولما كان الامام نصح الرؤساء الزيديين الذين يستحقون أخذ آرائهم فيمن
يخدم الامام - بأن يدعوا الامير محمد فكان منهم واحد أحاب يقوله : انه
لم يكن الوقت بعد للكلام في مثل ذلك وقد أتممت الحوادث ان ذلك الرجل
الذي قال ذلك كان على حق وبما قال . على أن الرؤساء والزعماء الآخرين وافقوا
على سحب الامر محمد اماماً لليمن ولكمهم اصافوا أحد التجمعات يقولهم
« اذا اثبت استحقاقه وجدارته لهذا المركز »

« لا شك فيه أن هذا التعيين له قيمة نسبية لا غير وعلى الأخص من
وجهة لفة ودية لانه يبرحد في اوقت المناسب مرشعون آخرون من المحتمل
أن يظهرو بعد موت الامام ولست أدري اذا كان هناك من الحال الامام
الآخر من ستطاع الى هذه الخلافة فان البعض منهم لا تنقصهم الشجاعة
والكفائة والدكاء وقد استطاعوا أن يدلووا ثقة الشعب وعظمه ومحبته
بالاقيهم الكرمية وحسن سيرتهم وأدبهم وكرمهم ولطف معشرهم وتدابيرهم
في كثير من الظروف لدى ولهم لمصلحة الكثيرين من مواطنيهم من كافة
الضقات

هذا فضلاً عن ان اليمن لا تنقصه الاسر الشريعة العريقة في النسب والتي
تفخر بانسابها العلى أن طلب فاطمة والتي كان من أفرادها بعض ملوك الزيديين
ولتي لا يزال في مقدور أن تملك الزيديين ملوك آخرين وصورة القول
أنه يوجد في اليمن أو سوف يوجد حتماً من تنوق لخلافة الامام على عرش
اليمن ومساعدة الامير أحمد . وتلك الستة ليعنيين في الوقت الحاضر أسماء

أكثر من شعب قد رشحوا أنفسهم لهذا المركز . ومن العجيب أن تحدث
الأسر عن هذا لاسحاب كما لو كانوا يتحدثون عن أمر أكيد سوف يتم اليوم
أو غد أو بعد غد على أن الامام يحيى لا يزال - والله الحمد - قوى البنية حصر
العود صحيح الجسم موعود العافية .

ولم عاد سيف الاسلام أحمد بن العاصمة "حذ يشمل صباه جيش البلاد
الدى يعتقد أن فيه أقوى دعامة للإمامة وامن صيانة للاستقلال . وقد أحبه
الحمود وصداق الحش وقواده ولم يكن ذلك لشجاعته فحب من لأنه وحي
إلى أبيه بزيده مرتبات الحمد من خمسة رواتب الى ستة في الشهر . لأنه حذ
يتم عمله تحسين مرتبات الموظفين . على أن لتعالم وقد أصبح قد قويا بعد
حوادث عام ١٩٣٤ كما كان قبلها . أن تغيير أو تعديل

ولم يكن للحلاف مع الحذر راحة وحيمة ونهية بحرية والله الحمد له كنه
أظهر بخله أن البلاد الذى يريد أن يعيش حر مستقلا مرهوب الحاسب لا يحب
أن يبقى دائما كما هو الآن . أو كما كان دائما فان السعصع الوهاى رغم أنه يست
لكثير من المصاعب بالحكومة السعودية ويقدها سمع القبول لم يحبه الملك
ابن سعود من تهديد لعرق في قلب لصحراء ومن مدحيوشه بالوسائل والالات
الميكانيكية الحديثة والعساكر اليمسيون من حيرة الحمود . كثيره شجاعة
ويعززون فعيلة المقاومة ومرعة السبر واصر على احنال المشقة ولكن
تسليحهم لا يزال الى اليوم وليا وفي حاجة الى الاستكمال فيما وصلت الحياوش
السعودية الى الحديثة في الماء الحلاف لا حبر في ثمانيته سيارة مسدحة وكانت
تحت ايديها دبابات صحنمة وسيارات مصفحة ومترالبورات ميكانيكية . وهذه
كلها أشياء تدعو الى النظر والتبصر ويجب أن تكون فيها مرة ومراقبة !
والمن ووثقه لا يزال في اعتكافه وعمراته عن لعالم الخارجى إلا أنه تمكن
القول بان الافكار الحديثة بدأت في اتبعن فيه وليس من السهل في هيئة
اجتماعية مثل هذه تحديد لراى انعام ونجدهته بدقة ولكن يبدو للانسان
أنه لا يكون محظنا اذا ما أكد أن عقيدة الحمود المقدسة ليست الآن راسخة
كما كانت في صميم الشعب اليمنى .

و قد كان من حكمة الامام وبعد نظره لعمل على طمأينة الدين من الممكن
 تسخيتهم باسم المحفظين أى الزيود المتعصبين لدين لا يرون فى كل عمل من
 اعمال التعديب الا الحظر والحراب ، لكن يوجد الآن من أصبح يرى لحظر كل
 الحظر فى عدم القيام بهذا التعديب فى أسرع وقت وفى لقاء ليمن من قيام راسيه
 فى المصطفى مقيدا باغلال تقاليد القديمة كما يوجد الآن من أصبحوا يقولون
 فى صراحة أنه قد حانت الساعة لإبدال التعصب الدينى بشئ آخر يختلف عنه
 تمام لاختلاف وبسطوره أخرى جديدة ثالث تقوى البلاد وتسير بها نحو
 معدرات جديدة واعراض أخرى سيلة ومستقبل باهر عظيم .

وما لاشك فيه أن اليميين حتى عندما يقتحمون بانهم أحرار من كل قيد
 يرفعون يدهم وشتم انتشه العالم الخارجى أى عالم عبر المسلمين أو التطلع لشعوب
 أوربا وأمريكا كما يتطاعون للشعوب العربية . وليس هذا رأى سواد الشعب
 بل هو رأى الذين لشعورهم به شديده فى لتقدم والارتقاء تلك الرغبة التى
 تدعوهم فما يقومون به من أعمال عظيمة وفى تبدل أفكارهم وعاداتهم تبديلا
 أكيدا ولو أنه بطيء وهذا ما يحملهم فى غاية الحيرة والقلق ولتردد

وفى الحق أن الاحاب قد وصموا قدامهم فى البلاد العربية الأخرى
 وحتى الحجر نفسه قد أصبح بمكر فى مدح امتيازات واستخرج لتناول
 من بلاده وإنشاء طرق للسيارات لمحة من الممولين الامر بكنين على أن ليس
 يستطيع أن يفجر بأنه بقى حرا من أى نوع من أنواع لتعبئة حتى ووكالات
 تبعية مقبلة وأنه لم يقل فى داخل بلاده أمثال لورنس أو فيلبى وهذا فى
 الحق شئ جمل وانكحه لا يحل المشكلة فى شئ .

وبعيش الوهابيون فى صحراوات شاسعة حرداء كثيرة الأقدار ولكنهم
 عندما يتحدثون عن المسافة بين اية مدينة من مدنها وأخرى يذكرون
 المسافات لتي تسفرها لسيارات فى السير بين المدينتين . أما اليميون الذين
 يعيشون فى بلاد خصبة لثروات ثروة واسعة ويعلمهم أن يتحدثوا اليك
 عن بلادهم لتي فيها الذهب والفضة والحاس والحديد والاحجار الكريمة

والترول والاملاح المعدنية والطلق والبلور الصخري وغير ذلك فاك اذا
ماسألهم عن الزمن الذي يقطعه المسافر من صنعك الى تلك الاماكن انى توحدسها
تلك الاشياء النفيسة قبدروا لك المسافة بالايام انى تقصى فى السعر على
ظهور الابل !

ولقد كان الاخرى باليمن الذى يسير وحده بدون امة وصدية من احمد
ومن نى نوع نى يصير نساب ثروته العظيمة واستقلاله انتبه عاملا شيعلا
بافعا من عوامل الاقتصاد العلمى وقد وكل الزود لامة يمنى و عدم
١٩٠٤ و لقوا على كاهله واحسا عظيم فاه به حبر فيام على ن هك واحسا
آحر لا يقل اهمية وصعوبة عن الواحد الاول وهذا الواحد سوف يمنى على
عائق حله العظيمة سيف الاسلام احمد للقضاء به وشكر افنى أنه سوف
يكون عبد حسن خان الخيم به وما دلت عليه لمربر . . .

مضيف الامام يحيى

عندما يرحل الامام عاصفة ممسكة بعصاه تظفر من أيام الصيف في قصره المسكى في « حجة » تتغل معه كل رجل بلائه وحاشيته وأخذون في السير برفقه ومخرج هذا الموكب المذهب من باب كبير مرسى تكثير من الزخارف والبخاريم مدح في سور صغاء - - في حلة وصوماء نصم الاذان اذ يمدح عساكر الحرس من فوق الاسوار في نوافهم ويتوقعون لشبه هذا الناس به فيه الشيء الكثير من انعام شيد رواية « عابدة » لشهر ييما تصبح الظاهر صياحا عليا ويأخذ رجال « العكفة » (الحرس الخاص) في انشاء رقصاتهم التوقيعية في الشد الاغاني والقصائد في مدح مولاهم العظيم بكل ما أوتوا في أصواتهم وحناجرهم من قوة .

وتتقدم هذا الموكب عربة المليك وهي مرسى في سيرها وتتايل دت اليخين ودات الشمال فوق تصرفات العير السنوية يسما يسير على كلا الجانبين لامراء واوزر ، وائبيون الملاد وهم يمتطون جباههم العربية الاصيلة . كما يسرع عساكر الحرس بالحرى على أفداهم وبلى دامت حشد كبير من ليعال المطهمة المبرحة بسروح حمراء وحمرات هي « ركائب » الحادة وكبار الموظفين والاعيان والسكران ثم يسير خلف ذلك دتل حويل من حمير الخدمة تحمل على ظهورها الترحيلات المنجمة المزركشة ثم يلى ذلك كله ععدد من لحمل الحملة ويسير في اثر كل هؤلاء جمهور غفير لاعدله ولا حصر .

هذا وتكون قد قامت من مساء « تقصر » في الليلة السابقة قافلة دحجية

هرت شخصياتها الهامة في مقصورات (الحرم) السرية المحجوبة . وهؤلاء
هن نساء محبات لا تفصل اليهن الا نظار وطلال صفار يكون بعد ان انقطع
عليهم لثيذ الرقاد وعدد من الخواري المشاعب من سمرات وبيصوات، كلهن
عاليات لصوت شعوفات الجدل محبات للحصام كما تكون احوال قد نقت
عددا لا يستهان به من الحفائب و لصد ديق المدقوشة سقوش هندسية وحرورية
متعددة الالوان تبهر العيون وتحير الالباب .

وقد حرت نساء (المقام) على اظام شديد اصرامة في معيشتهم وهن يقرن
دائما في حدودهن ولا يعارفن مساكنهن اذ نه قد حظرن عليهن كل اتصال
بالعالم الخارجي وهن لارائن في لباسمة او اشارة من عمرهن . وعسيدا
يضطرون للسمر أو الانتقال من مكان الى مكان يقمن رحلاتهن في اثناء الليل
وفي غير الله لي المقبرة ويسرن في حذقة وحذر كي لا يراهن انسان كما تكون
مقبلات على ارتكاب احدي الحرمات .

ولكن ألا تكفي القذاع الكذيف الذي يعطين به وحوهم ؟

أما أسفار الامام فاتها تكون على امكس من ذلك كما في وصح النهار
لكي تنح العرصة للشعب اليمنى للانحاح وانرح عليك وللكي يحظى
نشر توديعه وهو ذاهب لقضاء بعض الوقت المراحة والاستجمام وتبديل الهواء
في مصيفه الخليل

وصحاء مدينة ذات مباح معتدل وتختار عن غيرها من المدن الاخرى
المقس جميل و كل فصل من فصول السنة ولا يعرف اهواها درجة الحرارة
المرتفعة التي تنغلظ فيها بلاد نهامه المحرقة . وتقع اله صمة اليمية على ارتفاع
خمين وثلاثمائة وألثي متر عن سطح البحر وتبعد بمقدار خمسة عشر درجة عن
خط الاستواء وهي غنية عما فيها من المروعات الياصرة وفي سائر الاسان
فيها رحوها لا تقع عيناه الا على حادثي عناه ومروج فيحاء ولساتين لفرقة
كما أن المياه التي تجري تحت اراضيها غريبة وارضها ومساخها يصلحان لكل

نوع من أنواع الزراعة . وفي الحق انه ليست هناك أية حاجة تدعو الانسان لان يهجر في فصل الصيف هذه المدينة المريحة التي تقضى الحياة فيها على أحسن ما تكون والتي فيها كل ما تحلب النحلة والسرور والانشراح ولكن ماذا نقول ولتصيف عادة قديمة ونظام حري عليه الناس من قديم الزمان ؟

وإذا كانت هذه المدينة لطيفة فاتمه طاب سواحبها أطف وأوف وفيها مساحة وساحة يعبر القوم عن وضعها لا أدري إذا كان شعراء اليمن قد شبهوا سعادتها بحولها من سهول حضراء ومروج يابسة ملوثة غيثة تغل من صدائها وإذا كان قد قام هذا التشبيه فإن في هذا ما يدهش كل الدهشة إذ أنه في ذلك الزورق الأحصر المضم المخطط المرتفعات والطبقات العالية يبدو عدد من القرى الصغيرة السامة التي يسهوى منظرها الالاب ومن هذه القرى قرية « الوادي » (١) التي كان يقصدها في العهود الماضية ثمة ليمن لقضاء شغل من أيام الصيف في ربوعها وتعد هذه القرية التي عثر كيلو متر عن العاصمة إلى حدود العرب وكان لهم فيها قصر عظيم (٢) فسيح الحدائق صعب المراتق شديد فوق كنه عالية من الصخور تقف عمودها وسط السهل كما هو فرعون عظيم وكانوا يحسون أنفسهم في هذا القصر عظمة فوق سهول حضراء والمرتفعات العالية التي يظهر فيها بصيد الأحجار وتصريفها فوق بعضها والاهات الشاسعة المحيطة التي يسهل وبها صيد الأراب البرية والحلال كما ترى منه الحدائق المعجمه والحقول الناضرة الممتدة على طول حبيات ذلك الوادي الفيح ولكن حدث أن تسلف بعض الثوار في أحد الأيام أسوار ذلك الحصن الصحري المسيع وقتلوا الإمام غيلة (٣)

(١) هو وادي شهر

(٢) وقد أصبح هذا القصر وجده من حديد حصرة صاحب الخلافة لأمام يحيى ملك اليمن

(٣) هو الإمام الناصر لدين الله عمه أبي الحسن وذلك في سنة ١٢٥٤ هـ

ومن ذلك الوقت صرف النظر عن التصييف فيه وكان هذا آخر عهده
بمركز اليمن فلم يطرده اليوم غير اليوم ولغرامان ولم يلبث أن بدأ في التهدم
والإهيار حتى لم يبق فيه في الوقت الحاضر سوى حدر به اعظيمة القسامة
التي لا تزال فتحات بواباتها تشبه أسطرلابها بالرهبة وتدخل على قدسه
الانقراض ويحيل أنها لا تزال «حية للتذكير» بذلك الحادث المشؤم الذي وقع
لذلك الامام المسكين !

تقل مصييف «حجة اليمن» بعد ذلك إلى «حجة» وهي بلدة غنية بمياهها
وزرعها . وترتفع مائة أكتافها فوق سهوح طعاب للطبيعة التي كتبت كلها
بالمرور والعبث . ولكن يرى في «حجة» لا سيما في «حجة» الواسعة ؟

أما تستمتعوا كما هي اختلاف أنواعها والخضر والأعشاب ذات الرائحة
العطرية والأزهار من كل نوع ومن كل لون وفي فصول الأزهار التي تستمر
هنا وقتاً طويلاً من أي مكان آخر من أشجار الأوردة الطويح والبرقة ال
والسريع والمشمش مسار الريف بألوان حية فاسدة على أن شهر ما تشجعه
«حجة» هو لعب الحمار للديدان العظم الذي لا يمكن أن يدرسه هب آخر
في حلاته والذي نشر إليه العلامة العربي (ابن سينا) في كتابه الشهير في
الطب ويوجد في «حجة» من هذا لعب عشرون صنفاً مختلفة الأسماء والشكل
واللون تصبغ في عدة فترات من السنة حتى تشكاد لا تحتوى عنقيد هذا اللعب
الخيلة من الموائد اليمينية في أي فصل من فصول السنة . وإلى هنا تأتي جهود
صنعاء ليأخذوا مؤوتهم من سيد الذي هو مشروبهم التقليدي في احتفالهم
الرسمي انتهى بقدومها في يوم السبت ذلك العيد الذي عاداً ما يطرده هؤلاء
التعساء بماء الورد !

ولقصر المسكن في «حجة» قصر واسع الحسات مسيح الأرواح مريح

لأخاية فيه ما تشنيه الأنافس وبلد الأعرى ومع ذلك فإنه يغاب على الظن أنه
لن يكون له بعد حير شرف استقلال (الموكل على الله) وقد يحدث أيضا
لأقصور ليمية ما يحدث لساء اليمن عندما يفقدن عطف مولاهن ويحدثن
أنفسهن ما استبدلن محظيات حديدات فقد مر حلاله الإمام يحيى بنشيد
قصر آخر استريح فيه في (الروضة) على بعد عشرين كيلو مترا إلى شمال
صماء على إحدى الطارق التي تسلكها القوافل المسافرة إلى مكة.

وايضا لروضة قرية من القرى الـ هي مدينة كبيرة من مسجد عظيم
لا يقل جمالا وعظمة عن أهل مساحد هذه وما حدة كبيرة تشعل تقومورها
مسحة من أكبر المساحات يتطبع لآثار و مرقاتها المسيحية التي تحف بها
الحداثق والمنزهات من كلا الحاسين أن يبره أهل امره وألهمه وأن يبر
فيها الداءت الدوال دون أن يدر بالبلد والتعب غارا لجمال ماسرها وحسن
تسيقها فهي شبه ما تكون (بالشارلبريه) في باريس أو (الاولتودن لندن)
في باريس. على أن هذه المدينة الخيلة قد تدهد حاد كبير من مساكنها تعمل
القنابل التي صنعها الأتراك عليها أثناء المعارك التي دارت رحاها في اليمن بينهم
وبين الثوار اليمنيين.

وما يسترعى المظرحقا أن عصى كل هذا الوقت دون أن يصكر السان في
ضرورة إعادة هذه الآلية المتهدمة سيرتها الأولى وفي أحلاء هذه المحازر
الشعرية مما يكون قد وقع تحت من الخنث وشلاء الملونى ولا كثر (الروضة)
التي تزدهر زرووعاتها وبحركم التجارية لواسعه في متعانتها تردد اتساعها
كل يوم بما يشيد فيها من المباني والمنشآت ويمكها أن يحمر وتقيه على
غيرها من مدائن اليمن بتلك الجوهره المعهريه العريضة التي هي قصر الملك
الصيفي الجديد.

وسواء أصبح أو لم يصبح ما قيل من أن الامام يحيى قد قرر أن يسمح
لنفسه بقسط أوسع من الراحة وأن يقضى معظم أوقات السنة في هذا القصر

المسيح فان العناية العظيمة التي كان يبشر بها الاعمال الهائية في هذا القصر من شأنها ان تبعث عني لظن بأن (قصر الروضة) سوف يكون له شأن عظيم وأنه قد أعد لمرص أسمى وواحد أحل بكثير من الواحد الذي حصص له الى ليوم مقرر صبي لمليك .

وبقدم هذا قصر المحم العظيم النالغ الزخرف والمساهي التنسيق فوق إحدى لرى القصر . بين السانين لصرة والمقول البياضة التي خصصت فيها ساحل هاتشان لرعاة الكروم والقات وامواكه والأرهار ويحتوى هذا القصر على عدد كبير من الانهاء الخيلة والايوانات الفسيحة نسقت كلها أحسن نسق وعلى شرفات متعددة وهو شامخ السدين عظم الارتفاع لدرجة أنه لكي يصل الإنسان الى أعلاه يجب عليه أن يصعد ما يريد على المائة سلم فادما صعد وبلغ قته فانه يرى - وبالعجب - مشهدا من أجل المشاهد وأروعها وأروعها .

ويشتغل العمال في اوقت الحاضر ومعظمهم من اليهود مهمة لا تعرف السكال لانهم نه والعراع من رحرفته في أسرع وقت ممكن ، وقد حمروا في أعلى واحته بعض آيات من وواقرآن ، صكتت بحط عرى جميل - كما زيسوا بواقده وشرفاته بزخرف ونقوش بديعة من الجص والرخام الملون الجميل .

والعجب في قصر الروضة الملكى والشىء الذى يدعو الى الدهشة انما هو (المصعد) الذى وضع فيه . ويمكن القول بأنه يوحد الآن مصعد فى اليمن . والعمال الايطاليون المقيمون فى اليمن هم الذين حببوا هذه الآلة الحديثة الصاحبة وشيدوا لها (كابية) جميلة نيقة تليق بقصر ملكى مثل (قصر الروضة) وأعدوا لها كل لوازمها حتى لم يبق الا المحرك (الموتور) لكي تقوم بوظيفتها ولكن عندما عرفه الامام يحيى ثمن هذا المحرك وما

يتكلمه نقله الى اقصر من المتاعب والنفقات لم يشأ ان يسمع كله واحدة
 منه وقال .

ولكن لم هذا المحرك ، وما فائدته ، وهل ليس عنه من يد ؟ ربما من
 الناس ان البلاد اليمينية تنقصها السواعد القوية !

وهكذا أصبح مصعد لقصر الملكى فى الروضة يرتفع ويخفض ويهوى
 ويهبط بواسطة عجلة كبيرة يديرها عساكر الحرس سواعدهم . وهم يحمد
 الله كثيرين !

نبأ من سبأ !!

في شرق صنعاء وعلى مسافة خمسة أيام منها على ظهور الابل نجد احدى المناطق ذات الاهمية التاريخية والاثريّة العظيمة . وتكاد هذه المنطقة تكون مطمورة تحت الاثربة الرسة وفيها « للال » سبأ » تلك المدينة العجيبه التي كانت تسكنها الملكة بقيقس التي كانت روجه (سيدنا سليمان) عليه السلام

ونحن مدسودن بذلك لليل الذي نعرفه عن مدينة « سبأ » التي يقال لها أيضا « مارب » لثلاثة من العلماء الباحثين الذين استطلعوا النوع في قديم بلاد العرب والوصول الى هذه المنطقة وجمعوا من ادلائها بعض كتابات منقوشة على الحجاره . وهؤلاء الثلاثة هم « آريو » الذي ذهب اليها في عام ١٨٤٣ م « وهالفى » الذي كان بها في عام ١٨٦٩ م « حابر » الذي حل الى هذه الاطلال في عام ١٨٨٠ ولم يستطع اوروو واحد بعد هؤلاء الثلاثة ان يحوس خلال هذه الديار . ولا تزال « سبأ » الى يومنا هذا تحتفظ بمرها السكين المجيب كاملا غير منقوص .

وقد شيد اهل « سبأ » في واد كبير غرب مدينتهم سدا عظيما كان يكبح جراح مياه السيول والافهار وكانوا يروون من هذه المياه اراضيهم اى صارت عظيمه الخصوبة وكانوا مشهورين بالبحار في العطور التي كانت تنتجها بلادهم والبلاد الحبشية التي كانوا يدهنون اليها في قوارب مصنوعة من الخبود وكانت لهم معابد وهياكل طاهرة وقصور بدية شاهقة متينة البناى وقد اكدت حداثتها وابوابها واسقفها بالمساج والمعادن النفيسة والاحجار الكريمة وكانوا يملكون رباشا وامتعة واثاثات من ذهب وفضة

ولكن اهل « سبأ » كانوا كفرة مشركين يمدون الشمس والقمر ، الشور
والقرال من دون الله ولذلك عاقبهم الله على كفرهم بهدم سد مدينتهم
الذى أغرقها وشقت شمل سكانها .

وتحطيم سد (سبأ) حادث تاريخي ورد ذكره في « القرآن » وأمثلات
به كل الاساطير القديمة التي بقيت في بلاد العرب عن مملكة « سبأ » .
وليست لدى البعض اية فكرة حي الوقت الحاضر عن لقاء صوء على تلك
الاملال اليمنية السقية من هـ . لمدة الشهيرة أو امانة اللتام عن تاريخها ..
(وهل يسمح مسلم صالح لنفسه أن يكشف ما أمر الله به أن يدفن ؟)
ولا يوجد من بينهم من يرغب في تفسير هذه الكبايات والبقوش وحل
رموزها لمعرفة حقيقة الماضي وكشف أسرارها . . . ليست الاساطير أهل
من التاريخ ؟

ولكن القليلين منهم الذين حرّروا على الحفر في هذه المنطقة واستخراج
بعض التماثيل هم من البدو الذين يبيعون هذه الأشياء الاحاب وهم مدعّمون
لتقدير هؤلاء لصاعتهم كل هذا التقدير !

ولقد استطاع علماء الآثار الذين وصلوا الى « سبأ » بعد أن تعرضوا
لأشد المحاسر - أن يجمعوا الشيء القليل وتمكن العالم (حلير) من اقتناع
أحد أشراف مدينة (مارب) أنه مسلم واتخذ منه دليلاً ومرشداً وسافر
الأنار من صنعاء الى ذلك الوادي الذي يجري بين حصى نجم وخولان
ووصلا بعد أربعة أيام الى وادي (شوان) ثم استنعا سبأ في أحد الطرق
الوعرة التي لا يمكن السير فيها الا على ظهور البغال والذي يحترق المقابر القديمة
ووصلا بعد ثلاث ساعات الى مكان (المدينة السقية) القديم

ولكن حدث في هذه الآثناء أن ذاع خبر سفر ذلك (الكافر) الى سبأ
ولذلك قرر البدو قتله هو ومرشده ولما علم (حلير) بزمهم هذا اضطر
للاحتفاء في النهار والتسلق في ظلام الليل وقد استطاع في أثناء عودته بجهد

أن يرد اعتداء العدو المسلحين الذين كانوا متربصين له ورغمًا من كل هذه الصعوبات وحرمانه من أية آلة من الآلات لفية استطاع العالم النجوى أن يدح تمردًا وحمس محطوما من المحفوظات السبعة الأمر الذي يدلنا على مقدار الثروة الأثرية العظيمة في هذه المنطقة

ولم يسمح الإمام بحى فقط لآى أحبى بالسفر إلى مدينة (سب) وقد أصدر أمره من عدة سنوات بعدم بيع المعاديات معاً بأننا وقد حاول أحد العلماء من عهد نبيد السفر إلى (مارب) من حصرموت ولكنه قص عليه وأبعد إلى خارج حدود السلا كما صودرت عدة صناديق ملأى بقطع ثرية ونماثيل كان قد اشتراها عالم آخر من بعض البدو المقيمين في المناطق القريبة من هذه الأطلال القديمة

وإذا ما سأل سائل عن سر هذه الشدة نتحل له شتى الأسباب ويعتبر له مختلف المعاذير فقد قال لى أحد العلماء المتقدمين في السن أنه يسكن في منطقة ساقبل من البدو الموحشين الذين يكفون اللحوم لينة وشراف هذه القبائل ورؤسؤهم يصطيدون القرويين المساكين ويأخذونهم بالعمل في حقولهم ويقتل من أحلهم . وكثيراً ما يرسل الإمام يحى إليهم حملات عسكرية لحماية لشور منهم ولذات يرى من الحرم عدم التصريح للاحتاس بالمغامرة بدحول تلك الأقاليم التي يسكنها قوم لا يعرفون بحكومة صعاء اعترافاً حدياً ولا يدينون لها بالاحلاس وقد قال لى عام آخر أن الإمام يحى لا يرى أية قيمة لهذه الاحجار القديمة ولكنه لما يرى اهتمامكم لعظيم بها اتم معاشر الاوربيين فانه يحمد من الحكمة عدم تركها لكم .

وعند مقابلتى بالإمام وحدته منشرح الصدر ولذلك اشهرت هذه الفرصة وطلبت ليه أن يسمح لى بالسفر إلى « سب » وقد احابى احابة ملتوية قائلاً : « ان وجودك هنا لى حابى يسب لى سروراً عظيماً اشكر الله عليه فائق فى صعاء ما شئت واستمر في زياره اصوحنى والقرى الحيلة انى لى فيها قصور حيلة تنزل فيها على الرحب والسعة كما بدا لك »

ولكن هل تدفق اذهب الى « سب » ؟

(يرمى) كان يشغل مدى حصة وعشرين عاما في اليمن بجمع العساكر المرتقة والعمل للعدل المستعيرة . وقد ودع هذه الجمعية في حانوت يفتح يابه على أحد الطرق الرئيسية ، وترى في واجهته عيانت للسوحات باباية واسلحة ودغة دمشقية وقطع كسرة من العسج ونقاش صغيرة من المرمر وفي دخل هذا الحانوت وحده المتحف الذي لا يفتح الا لارثريين من دوى المقام والذي يحده منتهى لالاب واهر حديد فقد صم مجموعة من تماثيل من الرخام الأبيض والمرمر وحجر الخير للوك (وراق) كما احتوى على قطع من عبيد وتيجان أعمدة وفلائد ، أسور وحوائص من ذهب وقصعة ولافتات من البرنز ، أحجار حاملة وحفاريين وقد صنعت على رصف الحانوت وكوايلها البيضاء ترتب أحدها . حسب ارتفاع كل منها تمثيل عظمته من الحجارة للوك الذين حكموا اليمن من حصة وعشرين قرنا من الزمان . قد استحصرت الحانوت الأكبر من هذه الأشياء من (وراق) ومن (حصه موت) على أن فيه أيضا بعض آثار (سب) ومنها بعض تمثال صمد لأمراء حميلة يؤكده صاحب الحانوت بأنه تمثال ماسكة (سب) التي قامت تلك الزيارة التاريخية للملك سليمان .

آثار سب قليلة من وادرة حتى في متحف صمصاء الذي الشاه حلاله الامام محيي من ربة وحصة اعوام في دار (الصبايع) الذي هو قصر الصيوف ولدى برل فيه المعشاة الاحمسة التي تزور اليمن وقد اعتاد الاماء من صنع سوابك ينقل الى إحدى غرف قصر الصبايع الآثار التي تقول ملكيتها ليه باى وحة من الوحوه وقد كدس معظم هذه الأشياء الدقيقة لعدم وجود أرفف وكوايل في الغرفة . في صناديق الصناديق المستعملة لصفائح الغار . وعندما يأتي أحد الزوار لمشاهدة المتحف يقوم الحارس بفتح الصناديق وإخراج الآثار منها وضعها على قواعد البواقي لكي يستطيع الزائر رؤيتها والتعجب منها وكثيرا ما يحدث في أثناء هذه العملية أن يقع أحد التماثيل على الأرض الغرفة ويصبح هشيا وعندئذ يدفع الحارس قدمه السكورة الشظايا

المتخلقة عنه الى دكن من اركان لخرة دون ان يبدو على وجهه شئ
للأسف او الاصرار ولا يعلم الا الله وحده قيمة هذه الخربة التي
جمعت من اطلال مدن بلاد العرب الجنوبية القديمة وتبدو القطع الهندسية
والآثار المدرية او المخائرية والرسوم البارزة ذات اهمية عظمى للاحيى ما
التأثيل الصغيرة العديدة المصنوعة من الرخام او المرمر والتي تمثل رجلا
وساء في اوضاع مشابهة اذ تمثلهم جالسين وكوع كل واحد منهم مستند
بخصره ، يده ممدودة تانف الى الامام فاما تدل على وى ولى على به
توحدى متعده صماء شياء عظيمة القيمة نثر عليها بعض جمال الحجر
أحربى فى منطقتى غمان ومحلة أمر ونحب أشرف منو الأمير سيف الاسلام
أحمد . ولعمري ان التمثال البرزى الكبير الذى عثر عليه فى جهة « محلة »
انما هو آية من آيات الفن فهو يمثل أحد التطل الأفنديين عرى الحسد له
أعضاء متناسقة تمام التناسب ومما يؤسف له أنه للأسف أن العمل الفني
الخبرة قد هشموه فى أثناء عملية الحفر وليس فى الحين كله من يستطيع ان
باصلاح هذه الأشياء النفيسة التي لا تقدر على وقد جمع هذا التمثال ، ومع
على قدميه ودعم يده ، ثم معدنيه بعد أن جمعت كل أجزائه الى بعضها وورمت
بأسلاك حديدية .

ولما كان ساعد التمثال الأيسر معقودا ولم يكون الحارس للآن رنأ
حاشا عن الوضع الذى راد التمثال أن يعينه لطله فانك تجد الذراع فى بعض
الاحيان مرفوعا الى أعلى لرأس وأحيانا أخرى ممدودا الى حده



ولقد سلت الى اسحق بن موسى أن يصحني الى بيوت « حى اليهود »
التي تصنع فيها العاديات الزائفة لكي تباع فيها بعد باسم عاديات سنية
حقيقية فوضع الرجل يده على قلبه ورفع عينيه الى السماء وصاح قائلا :

« انت يا سيدى تظن مى أن أربك شيت اذا صبح كان أعظم فصيحة
لنا ولكى أعرف بدويا من بدو مدينة مارب يقتنى دائما اشياء قديمة
يبيعها للاجانب سرا وبدون علم الامام »

وفعلا ذهبا سويو تسحت عن بدوى (مارب) فى كل مكان نرى ماذا
فعل الله به ؟ وفى أى مكان احتى فقد مصت أيام و أيام ولا يعرف أحد عن
أخباره شيت ولما بنسبا من العنور عليه ولم يمد يكر فيه ولا فى عادياته
ها نحن أولاء نقاله فى أحد الفرقات الصغيرة الموصلة الى المسجد الكبير قبل
صلاة العشاء .

السلام عليكم ا

وعليكم السلام ا

وبعد التحيات المعتادة فمل البدو فى الحديث والسؤال عن الصحة وعن
التمسك الى غير ذلك يدخل فى الموضوع ..
انفد كنا سحت عنك يا صاوع من عدة أيام لأن هذا الاحمى يريد مشاهدة
عديانك فعليك بالذهاب اليه صيحة انفد فى داره لكى تعرض عليه
ما عندك منها

فاحاه البدوى قائلا :

بى فى استفسارى الذهاب فى الصباح الى دار صديقك المحترم لاني
مسجون . . . ولكى حارسى بعك قيودى بعد لغروب فى نظير (نقشيش)
أقدمه له لكى يسعى حرا صيقا عدة ساعات من الليل . فاذا أراد صديقك
استقبالى فى داره فاني على تمام الاستعداد للذهاب اليه فى المساء لأن لدى
بعض العائيل البربرية الخيلة الى سوف نمره كل المرور

وفى هذه اللحظة يقف عربى آخر لاستماع احاديثنا . كما يحدث دائما .
اهل فى ذلك غرابة ؟ ! ولكى البدوى سرعان ما يقف عن الكلام ولما
يرى أن ذلك الرجل اواقف لا يريد أن يتحرك من مكانه يقول لى .

سعود الى الحديث عندما يصرف هذا الرجل ا

وعند ذلك ينظر العربي إليه نظرة كره واشتئار وبأخذ في السير في طريقه وهو يقول .

أبك لاند وأن تكون لها مدمت لانجرؤ على الكلام ،مام الناس ا
ولم يكن لدى صالح ما يردنه على هذا الكلام بل أخذ يتحدث عن الاشياء
الشمينة التي سوف يبيعها لي في الغد والتي لا شك في أنها منعت كلها في
« حي اليهود » عتزل امحق بن موسى ؟

خاتمة

.... ودعت بلاد نجران الطعراء الوداع الاخير في يوم من أيام الشتاء كان حمره شواظا من نار . وكانت ريح الجنوب الشرقى اساخنة تداعب « السمايك » وتجعلها ترغم رقصا ، تتواصل على صفحة الماء المنحعدة في ميناء المدينة الصغيرة .

وكانت في انتظارى في عرض البحر خارج الميناء إحدى البواخر الصغيرة المقنونة التي تقوم برحلاتها عبر البحر الاحمر دون أن تحترم أى احترام أو تعمل أى حساب لموافيت القيام أو مواعيد الوصول والتي يسم الإنسان على ظهرها دون أن يعرف على وجه التحديد فى أى مكان ولا فى أية ساعة تقف وتلقى مراسيلها .

وإذا كان الإنسان لا يعيش في اليمن المعيشة التي نحاوله ولا يحظى فيها بكل ما يشتهي فإن أصعب من ذلك وأشق على النفس الوصول اليها أو الارتفاع عنها ومع ذلك فاني لا أذكر بأنى سافرت في رحلة كانت أحب الى نفسي من رحلتى الى اليمن أو أحسن منها .

وعندما تشرفت للمرة الأخيرة بمقابلة حلالة الامام يحيى لاني من الاذن منه في السفر والمودة الى ارض الوطان تلتطف — حفظه الله — معى كثيرا بانى وحده الى كلمات كريهة تدل على شعور رقيق ونفس نيرة وودعتى وداعا مؤثرا وأظهر نحوى عطفًا لى أنساء ما حييت . وان اس لا أنسى جلالاته ساعة أن وقف ينتهل الى الله أن يشمانى برعايته وتوجيهه وان يكتب لى السلامة . وقد سلمنى حلالاته « حوار سر » مهورا بحامه العظيم مكتوبا على ورقة ثر عليها ذاك المسحوق الاحمر الذى اعتاد ان ينثره على كل مايكتب .

وقد نقش على هذا الخاتم اسم جلالة والقباه « بجي بن محمد حميد الدين أمير المؤمنين المتوكل على الله » كما كتب عليه نص جواز المرور الذي يبتدىء باسم الله الرحمن الرحيم وهو : « لا بأس من سفر فلان (وهنا يذكر اسم المسافر ولقبه وجنسيته) فلا يمترض عليه . »

وفي الحق ان الاعتراضات على سفرى لم تكن منتظرة ولم يكن لها أى أثر بفعل هذا الطلمع المعجيب فان هذه الورقة التى وقع عليها جلالة بالخاتم الاحمر كان لها فعل كفعل السحر اذ كانت تخفى أمامى جميع الطرقات وتفتح فى وجهى كل الأبواب فى أسرع وقت وفى لمح البصر .

وداعا أيها الجن الجميل !

وداعا أيها الشعب الوديع الطيف !

وداعا أيها المسافر الظرفاء !

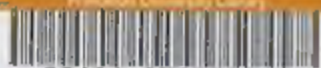
أنى لا أستطيع الا أن أقول لكم ان السفر ومبارحة بلادكم الجميلة المحبوبة بلاد السحر والاحلام تسبب للآسمان الأسف والحسرة وتجعله يشعر بيقظة مزعجة مكثرة لان من يسعده الحظ بزيارة بلادكم والاقامة فى مدرككم الجميلة الفاتنة المنقطعة النظير ليخيل اليه أنه كان مستغرقا فى حلم عجيب لذيذ يود لو لم يستيقظ منه وأن يبقى مستغرقا فيه الى ما شاء الله !!!

— انتهى —

صواب	خطأ	سطر	صفحة
الزيتونية	الزيتونة	١٢	٣
فلاهرة	فلاهر	٦	٨
ليجعلها	ليجعلها	٧	١٣
في هدوء	هدوء	١٩	٤٥
حراز	الحرس	١٠	٤١
أسوار	سوار	١٠	٤٣
وجملت	وجامت	٢٤	٦٢
ذهبية	ذهية	٣	٦٤
وشار	وثار	٨	٧٦
ولذلك	ولذلك	٦	٧٩
من	مق	١٨	٨٢
ينقل	ينقل	١٦	٨٦
نواس	نحواس	٢٠	٨٧
ترحوا	ترحوا	٢٥	١٠٥
لذيذا قدم	لذيذا قدم	١٨	١٠٦
مبسمة	مبسمة	٤	١٠٩
الامام	الامامى	١	١١١
منهم	عنهم	٧	١١١
وقد	رقد	١٢	١١٢
خطر	خطر	٨	١٢٠



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY



32101 073552315

(NEC)

DS247

.Y45

F389

1947